



مركز حرمون
للدراستات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

استراتيجيات البقاء لدى "هيئة تحرير الشام": ثلاثية الإدارة والعسكرة والخطاب



أبحاث سياسية

الكاتب: د. عزام القصير



مركز حرمون للدراسات المعاصرة:

مركز حرمون للدراسات المعاصرة، مؤسسة بحثية مستقلة غير ربحية، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والاجتماعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري والصراع الدائر في سورية وعليها، وسيناريوهات المستقبل، كما تهتم بالقضايا العربية والإقليمية.

عزام القصير:

باحث وأكاديمي حاصل على دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لندن، وماجستير بتقدير امتياز في سياسات الشرق الأوسط من جامعة إكستر، بريطانيا. عمل مدرسًا في قسم العلوم السياسية في كلية بيركبيك في لندن، ولديه أبحاث عديدة منشورة باللغتين العربية والإنكليزية. مختص بدراسة حركات الإسلام السياسي وتحولات السلفية الجهادية، بالإضافة لقضايا التنمية والتحديث السياسي في العالم العربي.

أسهم في جمع المادة العلمية: بتول حديد، نجاح عبد الحليم، إبراهيم خولاني



استراتيجيات البقاء لدى "هيئة تحرير الشام": ثلاثية الإدارة والعسكرة والخطاب

حزيران / يونيو 2023



المحتويات

ملخص	5
مقدمة	6
استراتيجيات البقاء لدى الهيئة	10
أولاً: إجراءات ضبط الساحة المحلية	10
ثانياً: استراتيجية الإقناع الخارجي	21
ثالثاً: استراتيجية التمكين العسكري	26
خاتمة	31
قائمة المراجع	33
ملاحق	35

ملخص

ناحية أخرى، تحتاج الهيئة إلى موارد مادية لتمويل نشاطاتها الإدارية والخدمية وتمويل مجهودها العسكري. ولتأمين هذين الشرطين، تلجأ الهيئة إلى توسيع اختصاص أجهزتها الخدمية ووظائفها، ومدّ أذرعها الإدارية خارج مناطق سيطرتها العسكرية؛ غالبًا في مناطق سيطرة فصائل «الجيش الوطني»، وهو ما قد يشهد تسارعًا في المرحلة القادمة، إذا ما استمرت حالة الجمود العسكري والتدهور الاقتصادي والاستعصاء السياسي.

استطاعت «هيئة تحرير الشام»، وريثة «جبهة النصرة» و«جبهة فتح الشام»، أن تفرض سيطرتها على مناطق حيوية شمال غرب سورية بقوة السلاح. لكن مع مرور الوقت انخفضت وتيرة المواجهات العسكرية، خاصة بعد اتفاق وقف إطلاق النار في إدلب الذي وقعه الطرفان التركي والروسي عام 2020، ووجدت الهيئة نفسها في مواجهة أسئلة جديدة تتعلق بكيفية إدارة الشؤون الاقتصادية والخدمية في مناطقها. وازداد في هذه المرحلة اعتماد الهيئة على ذراعها الإدارية «حكومة الإنقاذ» التي اتجهت نحو ضبط الساحة المحلية عبر «مركزة» الملفات والتحكم في منح التراخيص والامتيازات. وبات تسويق نموذج الهيئة في الإدارة والحوكمة أداة تستخدمها في محاولاتها للتوسع شمالًا، على حساب فصائل «الجيش الوطني».

في ضوء ذلك، تحتاج هذه الورقة أن «هيئة تحرير الشام» تسعى لزيادة نطاق عمل أجهزتها الإدارية، لتحقيق ما باتت عاجزة عن ضمانه عسكريًا وأيديولوجيًا، أي البقاء. والمقصود بالبقاء هنا هو قدرة الهيئة على إدامة حكمها وتمتين سيطرتها وضمان نجاحها، في ظل محدودية الموارد، وضمن ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية غير مستقرة.

إذا كان البقاء مشروطًا بوجود شرعية ومقبولية محلية تضمن انصياح السكان، واستمرار تدفق الموارد، فمن الممكن القول إن السطوة العسكرية والتعبئة الأيديولوجية لم تعودا قادرتين على تأمين شروط بقاء الهيئة واستمرار سلطة الأمر الواقع. فمن ناحية، يحتاج السكان المحليون إلى إدارة وتأمين احتياجات وخدمات واستقرار أمني. ومن

مقدمة

سلطتها المكانية، ومدى انخراطها في أي ترتيبات سياسية أو عسكرية لاحقة.

بناءً على ذلك، تحاول الورقة الإجابة عن سؤالين رئيسيين: الأول ما هي استراتيجيات البقاء التي تعتمد عليها «هيئة تحرير الشام»؟ والثاني كيف تتبدل أولويات الهيئة وأدواتها واستراتيجيات «الشرعنة» التي تلجأ إليها؟

نظرياً، تُعدّ دراسة أنماط «الحكومة في زمن الحرب»⁽²⁾ واحداً من المجالات البحثية الناشئة التي تربط احتمال بقاء الفصائل المسيطرة بمدى نجاحها في بناء شرعية، محلياً وخارجياً، وفي إدارة الموارد، ومن ذلك ضمان تدفق الموارد المادية والبشرية. ضمن ذلك الإطار النظري، تُقدّم «هيئة تحرير الشام» نموذجاً مناسباً للدراسة، فهي استطاعت تدريباً بسط سيطرتها على مناطق حيوية في شمال غرب سورية، بعد أن انتزعت السيطرة من النظام السوري ومن فصائل مسلحة أخرى، بقوة السلاح، ولا تزال تحاول تأسيس تجربة حوكمة إدارية واقتصادية، تمكنها من ضبط الساحة المحلية ومن إقناع الفاعلين الإقليميين والدوليين بجديّة تحولاتها وشرعية حكمها، سعياً منها لتثبيت أركانها وإطالة أمد بقائها.

من ناحية ثانية، قد تساعد أدبيات الحوكمة في زمن الحرب في تحديد مدى عمق وجديّة التحولات الخطابية والاستراتيجية التي تحاول الهيئة بإصرار

اختتم زعيم «هيئة تحرير الشام» أحمد الشرع، المعروف بـ «أبو محمد الجولاني»، الكلمة التي وجهها بمناسبة الذكرى الثانية عشرة للثورة، بقوله «أُبشّر أهلنا بأن الثورة قد انتقل أغلب مفاصلها إلى حالة الانتظام والتفكير الاستراتيجي في كل ميادينها، العسكرية والأمنية والاقتصادية والتعليمية والخدمية، تحت مظلة ثورية يفتخر بها من يسير في أكنافها... وما هذا إلا نتيجة الوعي والشعور بالمسؤولية وتصحيح المسار»⁽¹⁾. في ضوء ذلك، تحاول هذه الدراسة النفاذ إلى المعاني الحقيقية والعملية لما تعنيه عبارات «التفكير الاستراتيجي»، و«تصحيح المسار» التي باتت من أبرز مكونات خطاب الهيئة، في الآونة الأخيرة.

لا شك في أن «هيئة تحرير الشام» قد مرّت بتحوّلات كبيرة في خطابها واستراتيجياتها، ومن الصعوبة بمكان عزل تلك التحوّلات عن رغبة الجولاني ومساعدته في إدامة سلطة الأمر الواقع التي يفرضونها على أجزاء من شمال غرب سورية، ومحاولة تعظيم مواردهم المادية والبشرية لتغطية نفقات الحوكمة والمجهود العسكري. لذا، تعالج هذه الورقة الاستراتيجيات التي تعتمد عليها الهيئة لتضمن بقاءها واستمرار سيطرتها على مناطق حيوية، جغرافياً وديموغرافياً، استناداً إلى قناعة مؤداها أن كشف تلك الاستراتيجيات خطوة ضرورية نحو تحليل دوافع وغايات قادة الهيئة، ورسم ملامح المرحلة القادمة فيما يتعلق بمستقبل الهيئة ونطاق

(1) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «كلمة بمناسبة ذكرى الثورة الثانية عشرة»، فيديو، 2023/03/17، شوهدي في 2023/05/03، في: <https://amjaad.video/watch/jeGusDolFotqEuH>

(2) . ازداد مؤخراً عدد الباحثين والباحثات في هذا المجال وصدرت كتابات مهمة تحاول رسم حدود هذا الحقل البحثي وتوضيح مميزاته وتبرير أهميته. من أبرز تلك الإضافات الأكاديمية كتابات كاسفر (Kasfir 2005) وريس (Risse 2011) وممبيلي (Mampilly 2011) وباركنسون (Parkinson 2013) وأرجونا (Arjona 2014) حيث صبت جميعها في وضع أطر عامة لبحث استراتيجيات الحوكمة وبناء الشرعية والتعامل مع المدنيين في المناطق التي خرجت عن سيطرة الحكومة المركزية في مناطق النزاع.

المقابلات، رأينا إغفال أسماء المشاركين وتجنّب الإشارة لأي معلومة قد تسهم في كشف هوياتهم.

ولزيادة دقة المعلومات التي استندت إليها الدراسة وموثوقيتها، تم اعتماد آلية مقاطعة البيانات، أو ما يعرف باستراتيجية التثليث في البحوث الاجتماعية (data source triangulation)، وبعد التحقق من موثوقية المعلومات، تم تصنيف البيانات التي جمعها الفريق البحثي خلال مدة شهرين، في ثلاث مجموعات رئيسية شملت: معلومات اقتصادية وإدارية وخدمية، ومعلومات عسكرية واستراتيجية، وأخيراً معلومات عن خطاب الهيئة، مستمدة من التصريحات والمقابلات المكتوبة والرئية لقادة الهيئة. تمت في المرحلة الأولى دراسة وتحليل كل من تلك الفئات الثلاث على حدة، ومن ثم تم جمع الملاحظات والنتائج المستخلصة ودراستها معاً للخروج بنتائج عامة تعطي صورة شاملة عن استراتيجيات البقاء التي تعتمدها هيئة تحرير الشام، بما يمدّ الطريق لرسم ملامح الفترة المقبلة، وتقديم توصيات ومقترحات وربما حلول للمشاكل الاجتماعية والتنمية التي تعانيها منطقة شمال غرب سورية، بالطبع دون عزلها عن سياقها الجيوسياسي.

تسعى الدراسة لتحقيق توازن بين الشمول والعمق والجدة. فمن ناحية أولى، تحاول الدراسة تقديم رؤية شاملة لاستراتيجيات الهيئة من نواحي الاقتصاد والأمن والخطاب والسياسة الخارجية. ومن ناحية ثانية، تنبني نتائج الدراسة على تحليل معمق لبيانات مفصلة، تغطي بالتحديد أساليب الحوكمة الاقتصادية و«الشرعنة» الخطابية التي تعتمدها الهيئة. وأخيراً، تسعى الدراسة لتقديم وصف دقيق وجديد لما انتهت إليه استراتيجيات الهيئة في السنوات والأشهر الأخيرة، وهي فترة تحولات مهمة لا تغطيها التقارير والدراسات السابقة. ففي حين قدّم آرون زيلن دراسة مهمّة ورصينة عن هيئة تحرير الشام وتحولاتها، بعنوان عصر الجهادية

إظهارها أخيراً. لكن لا بد من الإشارة إلى أن اعتماد تلك الأدبيات والتنظيرات، التي تمتاز بالعمومية والشمول، إطاراً نظرياً للبحث، يجعل من الوارد إهمال خصوصية الحالة المدروسة، أي تجربة «هيئة تحرير الشام». لذا تجب الإضاءة هنا على ثلاثة عوامل تسهم في تمايز حالة الهيئة، وهي: السياق السوري المتميز اجتماعياً وسياسياً، والخصوصية الذاتية للهيئة بنيوياً وإيديولوجياً، وخصوصية اللحظة التاريخية الملقى عليها الضوء في هذه الدراسة، وهي الفترة الممتدة من إعلان الاتفاق التركي-الروسي لوقف إطلاق النار في محافظة إدلب في 5 آذار/ مارس 2020، حتى اليوم. وإن أخذ تلك العوامل بعين الاعتبار، عند تفكيك استراتيجيات الهيئة ودراستها، ضروريّ للخروج بنتائج دقيقة وقريبة من الواقع.

من حيث المنهجية، اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المعلومات المستخلصة من مصادر مفتوحة، تشمل مواقع ومنصات إنترنت تابعة لهيئة تحرير الشام، كموقع «مؤسسة أمجاد الإعلامية»، وحسابات تويتر وفيسبوك وتلغرام تابعة لبعض قادة الهيئة، أمثال أبو ماري القحطاني ومظهر الويس وعبد الرحيم عطون، وعلى عدد كبير من المواقع الإخبارية والتوثيقية، تشمل وكالات أنباء دولية معروفة، فضلاً عن طيف واسع من الأبحاث والدراسات التي عالجت جانباً أو أكثر من جوانب نشاط الهيئة وخطاباتها، ورصدت التغيّر في سياساتها واستراتيجياتها. بالإضافة إلى ذلك، أجرى الفريق البحثي عشر مقابلات مع نشطاء وخبراء يقيمون في المنطقة المدروسة، ولديهم اطلاع على سياسات الهيئة وخطابها وعمل مؤسساتها. وتمحورت الأسئلة التي وجهت إلى العينة المنتقاة حول تقييم أساليب الإدارة ووضع الاقتصاد المحلي، وتحديد انتشار الهيئة ومدى الاستقرار الأمني في تلك المناطق، واحتمالات حدوث تغير في الوضع القائم. ونظراً لحساسية المواضيع التي تطرقت إليها

وبناء شعور بالانتماء بين أعضائها ومؤيديها، من خلال ترسيخ مجموعة محددة من القيم والرموز التي تلتف حولها الجماعة، ويعتقها عدد كبير من أفراد الجمهور المستهدف بعمليات الحشد والتجنيد. ويهدف بناء هوية داخلية متينة ومتميزة إلى زيادة تماسك الجماعة المسلحة، وخلق شعور بالولاء والانتماء للجماعة بين صفوف أعضائها ومؤيديها، بما يضمن لها البقاء والصمود أمام تحديات الواقع وهجمات خصومها. وإذا أسقطنا ذلك على هيئة تحرير الشام، فإننا نلاحظ بالفعل أن التنظيم مغرّق في «الأدلة»، وأن جلّ اهتمام قادته يتركز حول عمليات الحشد الخطابي والتمايز شكلياً وقيميّاً عن خصومه، ولا سيّما في مراحل النشاط المبكرة. ولا يمكن إهمال التحوّلات الأخيرة التي حدثت للهيئة ومسّت خطاها واستراتيجياتها معاً. والمدخل الآخر هو نظرية حشد الموارد (Resource Mobilisation) التي تأخذ بعين الاعتبار الدوافع العملية وراء التحوّل في استراتيجيات وأولويات الجماعات المسلحة والميليشيات وغيرها من الفواعل غير الحكومية، كهيئة تحرير الشام، وتُلقي الضوء على سعيها لاكتساب شرعية من خلال إدارة علاقاتها ومواردها بطريقة استراتيجية هادفة. ومن خلال إظهار قدرتها على توظيف الموارد وإدارتها بفعالية، تُعزز الفصائل المسلحة شرعيتها وتزيد من فرصها في تأمين الموارد اللازمة لبقائها ومواصلة عملياتها.

في ضوء ذلك، تحتاج هذه الورقة أن «هيئة تحرير الشام» تسعى لزيادة نطاق عمل أجهزتها الإدارية، لتحقيق ما باتت عاجزة عن ضمانه عسكرياً وأيديولوجياً، أي البقاء. والمقصود بالبقاء هنا هو قدرة الهيئة على إدامة حكمها وتمتين سيطرتها وضمان نجاتها في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية غير مستقرة.

إذا كان البقاء مشروطاً بوجود شرعية ومقبولية

السياسية (The Age of Political Jihadism) (2022)، وهي أقرب إلى أن تكون كتاباً مقدماً للباحثين المختصين يركز على الجانب الإيديولوجي لنشاط الهيئة؛ تحاول هذه الدراسة استكمال ما بدأه زيلن والبناء عليه، عبر تحليل معلومات وبيانات حديثة من جهة، وعبر تشخيص استراتيجيات الحوكمة و«الشرعنة» التي تتبناها الهيئة من جهة ثانية، للخروج بنتائج دقيقة، يمكن اعتمادها لصياغة توصيات عملية أو ورقة سياسات لاحقة. إلى جانب ذلك، كتب تشارلز ليستر سابقاً وصفاً مهماً وشاملاً لحديثيات ظهور جبهة النصرة، والتحوّلات التي مهدت لمرحلة هيئة تحرير الشام، وهو منشور تحت عنوان التعريف بجبهة النصرة (Profiling Jabhat al-Nus- ra 2016)، لكن دراسته بحاجة إلى إضافة وتحديث، وهو ما تسعى هذه الدراسة للقيام به. وضمن مواد مركز حرمون للدراسات المعاصرة، قدّم الباحث عمر إدلي ورقة تقدير موقف مكثفة، في شباط/فبراير 2021، عن سلطة الأمر الواقع التي تفرضها هيئة تحرير الشام، وهي ورقة شاملة لكنها تحتاج إلى التحديث وبعض الإضافات، خاصة مع تحولات المشهد الإقليمي وتوسع الهيئة عسكرياً باتجاه مناطق «غصن الزيتون» في الشمال، والواقعة تحت سيطرة فصائل «الجيش الوطني».

جدل الهوية والموارد في استراتيجيات الهيئة:

لتفسير التبدّل في استراتيجيات الهيئة وخطابات ممثلها، نستعين هنا بمدخلين رئيسيين من مداخل تحليل سلوك الفواعل غير الحكومية، ومن ضمنها الميليشيات والفصائل المسلحة. المدخل الأول هو نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity) التي تؤكد دور الهوية والديناميكيات الاجتماعية وعمليات التأطير في إضفاء الشرعية على الجهات الفاعلة غير الحكومية⁽³⁾. وبحسب هذه النظرية، تسعى الجماعات المسلحة لتأسيس هوية جماعية

(3) The main contribution in this field is done by the social psychologist Tajfel (1978). In the field of Islamist activism, Snow and Byrd (2007) dealt with the ideological work needed to facilitate the mobilisation of Islamist militants.

محلية⁽⁴⁾، تضمن انصياح السكان واستمرار تدفق الموارد، فإن من الممكن استخلاص النتيجة التالية: لم تعد السطوة العسكرية والتعبئة الأيديولوجية قادرتين على تأمين شروط بقاء الهيئة واستمرار الأمر الواقع. فمن ناحية، يحتاج السكان المحليون إلى إدارة وتأمين احتياجات وخدمات واستقرار أمني. ومن ناحية أخرى، تحتاج الهيئة إلى موارد مادية لتمويل نشاطاتها الإدارية والخدمية وتمويل مجهودها العسكري. ولتأمين هذين الشرطين، تلجأ الهيئة إلى توسيع وظائف أجهزتها الخدمية ومدّ أذرعها الإدارية خارج مناطق سيطرتها العسكرية، وهو ما قد يشهد تسارعاً في المرحلة القادمة، إذا ما استمرت حالة الجمود العسكري والتدهور الاقتصادي والاستعصاء السياسي.

(4) ضمن أدبيات الفلسفة السياسية وعلم الاجتماع السياسي، تعرّف الشرعية بأنها الاعتقاد بأن سلطةً أو حزباً أو حاكماً ما يتمتعون بأحقية ممارسة الحكم على مجموعة من الأفراد. تتعدد الأسس التي قد يبنى عليها الاعتقاد بشرعية السلطة، فقد تتأسس الشرعية على أسس قانونية أو أخلاقية أو براغماتية. أو، كما حدد ماكس فيبر، قد تستند الشرعية على أسس تقليدية أو عقلانية أو بناءً على اعتبارات الكاريزما. للمزيد حول المداخل المتعددة لتعريف الشرعية، راجع:

Joachim Blatter. "legitimacy", Encyclopedia Britannica, 17/12/2018. Available at: <https://2u.pw/084I9Aa>

استراتيجيات البقاء لدى الهيئة

أولاً: إجراءات ضبط الساحة المحلية

في علاقتها مع السكان المحليين الخاضعين لسلطتها، تسعى الهيئة لتأمين نوعين من الشرعية: الأول شرعية اقتصادية-إدارية، تركز على قدرة الهيئة على تقديم نموذج حوكمة مقبول محلياً وقادر على توفير الخدمات الأساسية وإدارة الاقتصاد المحلي وتسيير الحياة اليومية للسكان. والنوع الثاني شرعية أيديولوجية تقوم على صياغة وتوجيه دعاية للاستهلاك المحلي، ميزتها الأساسية الدمج بين الخطاب الإسلامي والخطاب الثوري السوري المناهض لنظام الأسد، بغية خلق قاعدة دعم شعبي من بين صفوف السكان المحليين.

١. إدارة الاقتصاد المحلي

لهيئة تحرير الشام ومؤسساتها الإدارية الرديفة، سيطرة كاملة اليوم على الاقتصاد المحلي، في مناطق واسعة شمال غرب سورية. ولم يكن الحال كذلك طوال الوقت، فقد توسعت نشاطات وصلاحيات المؤسسات المنضوية تحت مظلة حكومة الإنقاذ بالتدريج، بالتزامن مع بسط الهيئة لسلطتها بقوة السلاح والترهيب. كان عام 2017 محطة مفصلية حددت مسار العلاقة المدنية-العسكرية، حيث شهدت تلك الفترة العديد من المواجهات والاقتتالات الفصائلية، ترافقت مع تغيرات مهمة على الساحة السياسية. فبعد نحو ستة أشهر من إعلان تأسيس هيئة تحرير الشام نهاية كانون الثاني/يناير 2017، فرضت الهيئة سيطرتها على مدينة إدلب، بعد أن طردت حليفها السابق، حركة أحرار الشام

في مسعاها لكسب شرعية وضمان تدفق الموارد، توظف الفصائل والحركات المسلحة بعض أو كل الاستراتيجيات التالية:⁽⁵⁾ أولاً، التحالف مع فصائل أخرى أو جهات خارجية لزيادة القوة العسكرية والوزن السياسي. ثانياً، التوظيف «الأداتي» للحكومة، بمعنى محاولة تأمين قاعدة شعبية من السكان المحليين، من خلال توفير السلع والاحتياجات الأساسية والخدمات مثل المدارس والمراكز الصحية، والحفاظ على مستوى مقبول من الأمن والاستقرار، إضافة للحشد الإيديولوجي. ثالثاً، اللجوء إلى أنشطة غير قانونية، مثل تجارة المخدرات أو الابتزاز، لتحصيل إيرادات كفيلة بتغطية تكاليف الأنشطة والخدمات والمجهود العسكري. رابعاً، اعتماد تكتيكات واستراتيجيات مرنة قابلة للتكيف استجابةً للمتغيرات، سواء من ناحية التحالفات العسكرية أو التغيرات في البيئة السياسية المحيطة. خامساً، التوظيف الاستراتيجي للعنف، لتهريب المعارضين وضمان ولاء المؤيدين والحفاظ على النفوذ والسيطرة المكانية. بضوء تلك الاستراتيجيات المحتملة، ومن تتبّع أداء وخطاب هيئة تحرير الشام في الفترة الأخيرة، يمكن ملاحظة أن هيئة تحرير الشام تسعى لضمان بقائها وإدامة سيطرتها على منطقة إدلب وبعض قرى الريف الحلب، عبر اعتماد استراتيجية ثلاثية تجمع بين محاولات تحصيل شرعية محلية، ومقبولية إقليمية ودولية، وبناء قوة عسكرية.

(5) Arjona, Ana, Nelson Kasfir, and Zachariah Mampilly. 2015. "Introduction." Chapter. In *Rebel Governance in Civil War*, edited by Ana Arjona, Nelson Kasfir, and Zachariah Mampilly, 1–20. Cambridge: Cambridge University Press.

قامت خلالها هيئة تحرير الشام بحل العديد من المجالس المحلية التي تشرف عليها الحكومة المؤقتة. كما أصدرت «الإنقاذ» تحذيرًا شديد اللهجة، بتاريخ 12 كانون الأول/ ديسمبر 2017 دعت فيه الحكومة المؤقتة لإخلاء مكاتها من المناطق الخاضعة لسيطرة هيئة تحرير الشام، خلال مهلة 72 ساعة⁽⁸⁾. في أعقاب تلك الأحداث، استتب الأمر نسبيًا لحكومة الإنقاذ، واتسع نطاق عملها ليشمل معظم محافظة إدلب، لكن مع بقاءها واجهة مدنية «تكنوقراطية»، تخفي وراءها صناع القرار الفعليين في مناطق الهيئة، أي ورثة جبهة النصرة بزعامة الجولاني.

الإسلامية، وتولت مباشرة شؤون الإدارة المحلية. تلا ذلك عقد ما سمي «المؤتمر السوري العام»⁽⁶⁾ الذي أثمر عن تكوين جمعية تأسيسية باسم «مجلس الشورى العام»، الذي ترأسه بسام صهيوني الذي شغل فيما بعد منصب رئيس وزراء «حكومة الإنقاذ» التي أعلن تأسيسها رسميًا بداية تشرين الثاني/ نوفمبر 2017⁽⁷⁾.

لاقى إعلان الهيئة عن حكومة الإنقاذ انتقادات وردت فعل غاضبة، خاصة من طرف الحكومة السورية المؤقتة و«قوات سوريا الديمقراطية». واستمرت حرب التصريحات بين «الإنقاذ» والحكومة المؤقتة عدة أسابيع،

الوزارات التابعة لحكومة الإنقاذ السورية



مركز حرمون | Harmoon Center
للدراسات المعاصرة | For Contemporary Studies

(6) محمد نور، «هل تحتاج سوريا لحكومة معارضة أخرى بإدلب؟»، الجزيرة نت، 2017/09/22، شوهدي في 2023/04/27. <https://2u.pw/x6qTCwz>

(7) «مجلس الشورى» في إدلب يدعو إلى توحيد الفصائل»، غنبلدي أونلاين، 2020/05/30، شوهدي في 2023/04/25. <https://www.enabbaladi.net/archives/388956>

(8) Alaa Nassar, Ahmed Rahal, Justin Clark. HTS-backed civil authority moves against rivals in latest power grab in northwest Syria, Syria Direct, 13/12/2017. Available at <https://2u.pw/CWoNWh7>

المديريات التابعة لحكومة الإنقاذ السورية



مركز حرمون
للدراسات المعاصرة | Harmoon Center
For Contemporary Studies

أساسي تعتمد عليه هيئة تحرير الشام، حيث تتولى بعض المؤسسات المستحدثة، وخاصةً «هيئة الضرائب» و«الهيئة العامة للزكاة»، جباية ضرائب من منتجي زيت الزيتون ومكاتب الحوالات، وغيرها من القطاعات المحلية الحيوية⁽⁹⁾.

إضافةً إلى ذلك، تشرف الهيئة على الأسواق والمبادلات التجارية في المناطق التي تسيطر عليها، وتدير منشآت للصناعات الغذائية والدوائية. كما تعمل على توفير الخدمات العامة للسكان، مثل الماء والكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية. وبداً جلياً خلال السنوات الثلاث الماضية توجّه الجولاني ورفاقه لاستغلال حالة جمود الجبهات، لتأكيد رغبتهم وإثبات قدرتهم على إقامة نموذج إدارة وحكم، كما في الدول، تتولى فيه حكومة الإنقاذ تأمين الخدمات للسكان، وإدارة المرافق الرئيسية، وتحقيق نوع من الاستقرار يسمح باستمرار المبادلات التجارية وإقامة المشاريع الصناعية وتوفير المساعدات الإنسانية في مناطق سيطرة الهيئة. وتندرج تلك المحاولات ضمن إطار استراتيجية الهيئة

ولتمويل نشاطاتها وتعزيز قوتها، تعتمد هيئة تحرير الشام اعتماداً كبيراً على «حرب» قطاعات الاقتصاد المحلي، خاصة منذ التراجع الملحوظ في وتيرة الأعمال العسكرية في إدلب ومحيطها، بموجب الاتفاق التركي- الروسي الذي جرى في آذار/ مارس 2020. حيث تسيطر هيئة تحرير الشام على المعابر والحوافز الداخلية في المناطق التي تسيطر عليها، وتدير الحركة حركة المعابر الحدودية مع تركيا. كما تفرض الضرائب والرسوم على حركة الأشخاص والبضائع، وتستخدم عوائد هذه النشاطات لتمويل نفقاتها. غالباً ما يقتصر الحديث عن المعابر على تبيان أهميتها كمصدر اقتصادي يدرّ عائدات مالية على الهيئة ووكلائها وشركائها في تشغيل المعبر، لكن للإشراف على المعابر أهمية استراتيجية وسياسية لا تقل عن الأهمية الاقتصادية. فمجرد القدرة على إغلاق المعابر أو احتكار تنظيم الحركة عبرها يمنح الهيئة كرتاً تفاوضياً مهماً ويرفع من تكلفة أي خطة أو محاولة مستقبلية لاستهدافها أو عزلها أو الضغط عليها. الضرائب عموماً هي مصدر دخل

(9) «زكاة الزيت» و«ضرائب النظام».. الأوضاع الاقتصادية الصعبة تضرب أرجاء سوريا»، الحرة، 2020/11/17، شوهده 2023/05/06. في:

<https://2u.pw/WnZBkuS>

وتوزيع التراخيص والامتيازات بطريقة موجهة ومدروسة، تهدف إلى هندسة الجبهة الداخلية عبر خلق فئة مجتمعية لها مصلحة ببقاء الهيئة.

لكسب شرعية محلية، عمادها قدرتها على ضبط الجبهة الداخلية من خلال اعتماد مركزية القرار الاقتصادي والإداري،



مركز حرمون | Harmoon Center
لدراسات المعاصرة | For Contemporary Studies



مركز حرمون | Harmoon Center
لدراسات المعاصرة | For Contemporary Studies

في حزيران/ يونيو عام 2019، أصدرت وزارة الاقتصاد والموارد لدى حكومة الإنقاذ القرار رقم 361 الذي نصّ على تشكيل لجنة خاصة لمنح التراخيص لمحطات المحروقات في المنطقة، حيث ضمت اللجنة كلاً من شركة (وتد) بصفتها (الشركة الموردة) إلى جانب وزارتي الاقتصاد والإدارة المحلية.

لم يبق قطاع العقارات والإنشاءات والمقاولات بعيداً عن يد الهيئة، حيث صدرت قرارات تقضي بمنع إنشاء أي أبنية سكنية أو تجارية أو مشاريع تخص البنى التحتية، دون الحصول على ترخيص من إحدى المديريات التابعة لوزارة الإدارة المحلية والخدمات في حكومة الإنقاذ. يُذكر هنا أن الهيئة أضافت شرط استخراج الشخص المعني موافقة أمنية، أطلقت عليها اسم «بيان وضع»، من جملة قائمة الوثائق الأساسية المطلوبة لإتمام العمليات العقارية⁽¹²⁾.

بدا اتجاه الهيئة نحو المركزية الاقتصادية والإدارية واضحاً، من خلال تتابع مجموعة من القرارات الصادرة عن حكومة الإنقاذ. على سبيل المثال، استهدفت الإنقاذ احتكار قطاع الإنترنت من خلال التحكم في منح التراخيص عن طريق «المؤسسة العامة للاتصالات» التي أنشأتها لتكون المسؤولة الحصرية عن إدارة كل ما يتعلق بخدمات الاتصالات، حيث تشمل اختصاصاتها إنشاء وتشغيل وإدارة شبكات الاتصالات العامة وتقديم الخدمات للمستخدمين، إضافة إلى تحديد أجور تلك الخدمات⁽¹⁰⁾. سيطرة الهيئة على معبر باب الهوى، ومعظم المعابر الداخلية، مكّنتها من احتكار قطاع المحروقات في المنطقة، إذ تمّ تأسيس شركة (وتد) للمحروقات التي سرعان ما أصبحت الجهة الوحيدة المرخصة لاستيراد المحروقات إلى المناطق الخاضعة لسيطرة الهيئة⁽¹¹⁾.

(10) قاسم البصري، «هيئة «تحرير» الاتصالات في الشمال السوري»، الجمهورية، 2019/12/04، شوهدي في 2023/04/25. في: <https://2u.pw/qfsuDYm>

(11) علي درويش، «تنافس بالقروش» أم احتكار للسوق بين شركات محروقات إدلب»، عنب بلدي، 2021/02/14، شوهدي في 2023/04/26. في: <https://www.enabbaladi.net/archives/458173>

(12) «الإنقاذ تمنع إنشاء أي عقار في إدلب دون ترخيص»، عنب بلدي، 2020/09/13، شوهدي في 2023/04/26. في: <https://2u.pw/IXbRgD9>

أنشأت الهيئة عددًا من الشركات المماثلة، بغية التحكم بشكل كامل في جميع مفاصل الاقتصاد في المنطقة وفي مختلف القطاعات، ومن ذلك استيراد المواد الغذائية والمحروقات والسيارات، وقطاع اللحوم والدواجن وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أن الهيئة تتبع منهجًا استراتيجيًا في توزيع الامتيازات والتراخيص، كما أوضح عدد ممن أجرينا معهم مقابلات أثناء إعداد هذه الدراسة. فقد ورد في إحدى المقابلات أن «الهيئة وتوابعها لا يحتكرون جميع القطاعات والمشاريع، بل إنها تمنح تراخيص المشاريع الصغيرة لبعض المستثمرين والشركات التي لا تتبع لها مباشرة»⁽¹⁶⁾، وتقدير ذلك يعتمد على غالبًا على الأهمية الاستراتيجية للمشروع، إضافة إلى العائد الاقتصادي المتوقع منه.

إضافة إلى القطاعات الاقتصادية والتجارية، شملت عمليات «المركزة» وإعادة الهيكلة أيضًا قطاعي القضاء والأمن الداخلي. فمن ناحية القضاء، انتقل العمل من نظام الهيئات والمحاكم الشرعية المستقلة عن بعضها والتي سيطر الأجانب على معظمها لفترة طويلة⁽¹⁷⁾، إلى اعتماد آلية المحاكم الملحقّة بوزارة العدل التابعة لحكومة الإنقاذ⁽¹⁸⁾. وشملت إعادة الهيكلة فصل الاختصاصات، بحيث أنيطت مهام البت في الأمور الجنائية والخصومات والدعاوى المدنية بالجهات القضائية الرسمية التابعة لوزارة العدل، بينما بقي جهاز الأمن العام، ومن خلفه دائرة الأشخاص المقربين من الجولاني، ممسكًا

مناقضًا ادعاءاته المتكررة السابقة حول استقلالية حكومة الإنقاذ وتفرداها بسلطة اتخاذ القرارات التي تعنى بإدارة الشؤون الاقتصادية والمدنية⁽¹³⁾، أوضح الجولاني أن تلك الإجراءات تندرج ضمن توجّه استراتيجي واحد عبّر عنه بقوله: «نحن لجأنا إلى مركزة الملفات، ووجدنا أن هذا الشيء أصلح للمحرر، مثلًا النظافة تمركزت... الزراعة تمركزت. البناء ورخص البناء وما إلى ذلك». وانتهز الجولاني الفرصة لانتقاد أداء المجالس المحلية التي لم تكن خاضعة للهيئة، قائلاً: «عندما كانت المجالس المحلية في السابق، كان وضع البناء مختلفًا عن الوضع الحالي، وكثير من الأبنية التي سقطت على إثر الزلزال كانت بسبب مخالفات كانت على عهد المجالس المحلية. أما عندما تمركزت، أي أصبح الترخيص عند الوزارة وأصبحت هي من تدير الشؤون بشكل مركزي أكثر، فقد أصبح الوضع أفضل»⁽¹⁴⁾.

تابعت الهيئة في الآونة الأخيرة سياسة «مركزة الملفات»، كما سماها الجولاني، التي تهدف عمليًا إلى احتكار النفوذ والموارد، فأنشأت شركة «الراقي للإنشاءات»، بإدارة عبد الرحمن سلامة، أحد قياديي الهيئة. واستحوذت الشركة على مناقصات شق طريق حلب-باب الهوى، الواصل بين مدينتي سرمد والدانا شمالي إدلب، وشق طريق باب الهوى-إدلب، إضافة إلى استحواذها على مناقصات لإنشاء مدرج لكلية الطب البشري في جامعة إدلب⁽¹⁵⁾. كما

(13) جاء في مقابلة أجريتها مع أحد الناشطين المحليين عبر تطبيق واتساب، بتاريخ 2023/05/30، أن «هامش استقلالية الهيئات المدنية عن القيادة الشرعية والعسكرية قليل جدًا، ويبدو ذلك من خلال اختيار شخصيات تكنّ الولاء للهيئة لشغل مناصب مدنية، ومراقبة شخصيات شرعية وعسكرية لمشاريع خدمية وطبية واقتصادية، وعلى مستوى الجامعات أيضًا، إضافة للسيطرة على وزارتي العدل والأوقاف».

(14) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «معايدة قيادة المحرر للوجهاء والكوادر»، فيديو، 2023/04/27، شوهدي في 2023/05/02. في: <https://amjaad.video/watch/2clqkBkoydsM17T>

(15) أمين بطل، ««تحرير الشام» تواصل سياسة الاحتكار.. استحواذ على قطاع الإنشاءات والمناقصات»، تلفزيون سوريا، 2022/02/11، شوهدي في 2023/05/06. في: <https://2u.pw/kejEiUT>

(16) مقابلة مع أحد الناشطين المحليين في محافظة إدلب عبر تطبيق واتساب بتاريخ 2023/05/31.

(17) حسام الجبلاوي، « القضاء في المناطق المحررة.. تضارب في المرجعيات وغياب شبه تام للاستقلالية والتخصص»، صدى الشام، 2016/07/19، شوهدي في 2023/05/03. في: <https://2u.pw/3olWTyF>

(18) مقابلة أجريت مع ناشط وصحفي مقيم في مناطق سيطرة الهيئة، بتاريخ 2023/05/30.

وبعد التواصل مع نحو عشرين شخصاً، بعضهم سجناء سابقون أو أوقفهم عناصر الهيئة، تمكناً من تحديد أبرز السجون الحالية ومراكز التوقيف والاعتقال التابعة للهيئة، ورسم خارطة تقريبية لتوزعها الجغرافي. علماً أن الأوضاع على الأرض ليست بالوضوح الذي قد توحيه الخارطة، نظراً لأن أسماء السجون وأماكنها واختصاصاتها تتبدل باستمرار.

باختصاص البت في الأمور الأمنية والسياسية⁽¹⁹⁾. أما من ناحية نظام السجون، فيبدو أن هناك توجهاً نحو إغلاق السجون الكبيرة سيئة الصيت، كسجن شاهين (الملحق بسجن إدلب المركزي) وسجن العقاب⁽²⁰⁾، واستبدالها بشبكة واسعة من المخافر والسجون الصغيرة المنتشرة في معظم القرى والبلدات ومراكز المناطق الواقعة تحت سلطة هيئة تحرير الشام⁽²¹⁾.



(19) تدعي الهيئة استقلال الجهاز القضائي بشكل كامل عنها وتبعيته المباشرة لحكومة الإنقاذ، وفي تلك الادعاءات محاولة للتنصل من مسؤولية الهيئة عن عمليات التعذيب والقتل التي جرت وتجرى في سجونها. ومما قاله الجولاني في هذا الخصوص: «لا يوجد تعذيب. هذا مرفوض كلياً، ونحن لسنا مسؤولين عن الاعتقالات والتعذيب وجميع إجراءات المحاكم. الجسم القضائي في المحرر مستقل تماماً، وليس تابعاً لنا». للمزيد، انظر: <https://2u.pw/94UHyd6>

(20) أحمد عبيد، «سجن العقاب.. أخطر سجون جبهة النصرة في إدلب»، حكاية ما انحكت، 2020/04/21، شوهد في 2023/05/22. في: <https://2u.pw/SCOZlzc>

(21) أكد معظم من قابلناهم وجود ذلك التوجه الجديد بوصفه إحدى طرق تكيف الهيئة ومحاولاتها لتشتيت الانتباه عن الانتهاكات الخطيرة التي وثقت في سجونها المركزية المعروفة، بما في ذلك الاغتيال والتغيب واللجوء لأساليب تعذيب بعضها كان يؤدي إلى وفاة المعتقلين. وهو ما ورد ذكره أيضاً في شهادة القاضي عصام الخطيب ورئيس المحكمة العسكرية في الهيئة سابقاً التي أدلى بها لتلفزيون سوريا. انظر: إسماعيل درويش، «رئيس المحكمة العسكرية في «تحرير الشام» يكشف لتلفزيون سوريا أسرار سجون الهيئة»، تلفزيون سوريا، 2023/03/15، شوهد في 2023/05/12. <https://2u.pw/xMpfWad>

أهمية دعائية يمكن للهيئة توظيفها عند الطلب، وهو ما تعكسه بالفعل خطابات وتصريحات قادة الهيئة في الفترة القريبية الماضية، وبالتحديد تركيزهم على إظهار فشل الإدارة في الشمال، وأن لديهم تجربة ناجحة في مناطقهم وأكثر فعالية من المجالس المحلية التي تلتزم بتوجهات الحكومة المؤقتة وتعمل بحماية فصائل «الجيش الوطني».

ذلك التوجه تعكسه تصريحات الجولاني ومساعدوه الأخيرة، والمقارنات التي ما فتئوا يسوقونها بين «نموذج الدولة» والاستقرار القائم في مناطقهم، وبين حالة الشذمة والفوضى في مناطق نفوذ فصائل «الجيش الوطني». ففي لقاء جمع الجولاني مع «وجهاء المهجرين»، بداية هذا العام، صرّح بأنه «يوجد محرر متماسك فيه نوع من الاستقرار السلطوي، وفيه مؤسسات، وفيه قوة عسكرية موحدة... [بينما] في مناطق أخرى، لا يزال الناس يعانون من فقدان الأمن، يعانون من مشاكل كثيرة اجتماعية وعسكرية وأمنية وما إلى ذلك... المشهد يحتاج إلى إكمال، وأنا أعتقد أن الميدان سيثبت هذا الأمر»⁽²⁴⁾. وفي هذا السياق، كرر الجولاني المقارنة، وأشار في الكلمة التي وجهها إلى جمع من المتنفذين في مناطق سيطرة الهيئة في نيسان/أبريل 2023، إلى أن «المجالس المحلية بُنيت بشكل خاطئ، أي من خلال المنظمات، بحيث تحول كل مجلس محلي إلى دولة مصغرة، ثم أصبح يعمل عند المنظمة (توزيع إغاثة، نظافة وغيرها)... في مناطق الشمال... كل ناحية تحولت إلى دولة. هذه النواحي لا تستطيع أن تعمل نظام دولة في داخلها، فهي رقعة جغرافية مفتوحة على بعضها في مكان محدد. ويجب ألا تتعدد السلطات هناك»⁽²⁵⁾.

إلى جانب ذلك، وردَ في المقابلات التي أجريناها مع ناشطين وخبراء محليين أن لدى الهيئة مراكز اعتقال سرية، تنتشر بالتوازي مع المراكز المعروفة والمنتشرة في عموم مناطق الهيئة⁽²²⁾، وأن من غير الممكن معرفة حقيقة الممارسات التي تجري في تلك المعتقلات الموازية، نتيجة حرص الهيئة في الفترة الأخيرة على إيصال صورة بأن عمليات الاعتقال والمحاسبة باتت أكثر شفافية وتمارسها أجهزة قضائية وشرطية معروفة تتحرك بمذكرات اعتقال وتوقيف رسمية. وبالرغم من ادعاءات الشفافية وحكم القانون، تُحكّم الهيئة قبضتها على الشؤون الداخلية، بواسطة جهاز المخابرات المسمى «جهاز الأمن العام» الذي لا يعمل وفق لوائح وضوابط قانونية محددة، والكثير من عناصره ملثمون ولا يرتدون زيًا موحدًا. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الجهاز الأمني بات الحاكم الفعلي على الأرض، فهويد الهيئة التي تصل إلى كل زوايا الفضاء العام عن طريق نشر «الأمنيين» في كل الأماكن والتجمعات. كما بات الأمنيون طليعة الهيئة، عند كل محاولة للتوسع خارج مناطقها، فيتولون مهمة فرض السيطرة عبر التهيب ونشر الخوف⁽²³⁾، ويُستعاض بهم عن الحضور العسكري المكلف والذي يثير ردود فعل محلية وخارجية أكثر حدة.

بالنظر لاستراتيجيات الهيئة في مجال الحوكمة، يمكن استخلاص ملاحظتين: الأولى أن التوجه نحو مزيد من المركزية الإدارية يساعد الهيئة في ضبط الساحة المحلية وتوزيع الصلاحيات والامتيازات وشراء الولاءات. والثانية أن المركزية هي نقطة تمايز عن حالة الإدارة في مناطق «الجيش الوطني»، ولذلك

(22) تتقاطع المعلومات التي حصلنا عليها مع ما ذكر في التقرير المفصل الصادر عن الشبكة السورية لحقوق الإنسان:

أبرز انتهاكات هيئة تحرير الشام منذ تأسيس جبهة النصرة حتى الآن، تقرير، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 2022/01/31.

(23) «جهاز الأمن العام التابع للهيئة» يواصل ملاحقة عناصر سابقين ضمن فصائل جيش الإسلام في مدينة عفرين»، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 2022/10/22، شوهد 2023/05/04. في: <https://2u.pw/pEliS39>

(24) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «لقاء القائد «أبو محمد الجولاني» مع وجهاء المهجرين للحديث عن خطورة التقارب مع النظام المجرم»، فيديو، 2023/01/11، شوهد في 2023/05/31. في: <https://amjaad.video/watch/shoEEqFDypZePLF>

(25) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «معايدة قيادة المحرر للوجهاء والكوادر».

أي منطقة ندخل إليها، بدون أن نُحدث فوضى كما كان يحصل في السابق»⁽²⁷⁾. هذا الافتراض أكدته معظم من قابلناهم، فعبروا عن أن هناك شعورًا بالترقب والخوف يسود في مناطق جنديرس وراجو ومعبطي وعفرين وحتى في إعزاز وغيرها من مناطق «درع الفرات»؛ شعورٌ يفاقمه انتشار أمنيّين تابعين للهيئة في تلك المناطق، وحضورهم في جميع نقاط تمركز الفصائل المتحالفة مع الهيئة.

II. الحشد والإقناع و«الشرعنة» المحلية

أفضت مجموعة من العوامل في عام 2016 إلى تقليص قوة جبهة النصرة ونفوذها، بعد أن عاشت ذروة قوتها وشهرتها خلال عام 2015؛ حين قادت تحالف «جيش الفتح» الذي جمعها إلى جانب حركة أحرار الشام وفيلق الشام وجند الأقصى وغيرهم⁽²⁸⁾. لكن ازدياد التوتر والمواجهات مع فصائل المعارضة والسكان المحليين أدى إلى تقويض ادعاء النصرة حيازتها القبول والدعم الشعبي في الأراضي التي استولت عليها. إضافة إلى ذلك، أدى التدخل الروسي في أيلول/ سبتمبر 2015، وتطبيق هدن محلية في أكثر من منطقة، وتقدم قوات النظام في حلب واستعادتها بالكامل نهاية⁽²⁹⁾ 2016، إلى إضعاف مصادر شهرة جبهة النصرة، أي قدرتها العسكرية وفعالية أداء عناصرها في المعارك. في ضوء هذه الظروف، اتخذت قيادة جبهة النصرة قرارًا مهمًا في تموز/ يوليو 2016، تضمن اعتماد اسم «جبهة فتح الشام»، وقطع علاقاتها مع تنظيم القاعدة وغيره من تنظيمات الجهاد العالمي، والتركيز بدلًا من ذلك على تعزيز موقعها داخل المعارضة المسلحة وتأكيد محليتها وانخراطها في تفاصيل السياق السوري⁽³⁰⁾.

إلى جانب تلك الانتقادات التي ساقها زعيم الهيئة للأوضاع في الشمال، كرر شرعي الهيئة المعروف، أبو ماري القحطاني، تلك الرسالة قائلاً: «سنوات من يسمون أنفسهم بالنخب السياسية عجزوا أن يصنعوا قرية نموذجية أو رقعة جغرافية مساحتها واحد كيلومتر، يديرونها كما تدار مدينة من مدن إدلب العز الخضر». وفوق كل ذلك الفشل المتكرر لتلك النخب والقيادات والمشايخ التي تعجز أن تضبط سلوك جنود فصيل من فصائلهم، لم يبق لهم ميدان إلا التشويش والمزاودة والكذب والبكاء والعيول واستجداء الدول»⁽²⁶⁾.

تكرار تلك المقارنات، سواء فيما يتعلق بتجارب المجالس المحلية بين الماضي والحاضر أو بين الأوضاع في مناطق سيطرة الهيئة وخارجها، على ألسنة قادة الهيئة وعبر قنواتها الدعائية، هو في الغالب مدخل لتهيئة الوضع في الشمال وخلق رأي عام هناك يقبل وربما يشجع دخول الهيئة إلى مناطق «غصن الزيتون» و«درع الفرات»، وتولي مؤسسات الهيئة إدارة تلك المناطق، وهو ما قد نجده بين سطور الخطاب الذي وجهه الجولاني للوجهاء والكوادر العاملة في المناطق المحررة، حين اختتم كلمته بالإشارة إلى احتمال قيام معركة قريبًا، قائلاً: «الواجب الحالي هو الاستعداد الكامل، وهذا -والحمد لله- وصل إلى مراحل جيدة، وكلما ساعدنا الوقت، زدنا جاهزيتنا. ونحتاج إلى فرصة، والفرصة باتت آثارها واضحة الآن... يجب التقدم، والخيار الثاني التقدم، والخيار الثالث التقدم... خلال السنوات الماضية، حاولنا أن نبني البنية التحتية لهذا الأمر، بحيث إننا إذا تقدمنا عسكريًا يكون أيضًا من خلفنا قوة مدنية تستطيع أن تدير

(26) قناة ميسرين علي، تلغرام، 2022/10/26، شوهدي في 2023/04/04. في: <https://t.me/moyeser/202>

(27) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «معايدة قيادة المحرر للوجهاء والكوادر».

(28) «جيش الفتح.. تحالف صلب ضد نظام الأسد»، الجزيرة مباشر، 2015/04/28، شوهدي في 2023/04/27. في: <https://2u.pw/>

[KQdGmxQ](https://2u.pw/Wpr72sq)

(29) «الجيش السوري يعلن «استعادة حلب بالكامل»»، BBC News، 22/ 12/ 2016، شوهدي في 2023/05/07. في: <https://2u.pw/Wpr72sq>

(30) Charles Ister. The Syria Effect: Al-Qaeda Fractures, Hudson Institute, 11/12/2019, seen 12/02/2023. Available at:

السهل. فقد احتاج الجولاني إلى التخلي عن كثير من داعميه ومؤيديه من المؤمنين بعالمية الجهاد وأولوية استهداف «العدو البعيد»، ونكران الحدود السياسية الحديثة وفكرة الدولة الوطنية، ودخل في مواجهة مع الظواهري وآخرين من قادة القاعدة، وبعض رموز السلفية الجهادية⁽³³⁾. كما احتاج الجولاني إلى خطاب ديني يُبرر تحولاته الاستراتيجية وتوجهه نحو «سُورنة» التنظيم، وهو ما تكفل به عدد من الشرعيين المقربين من الجولاني، وفي مقدمتهم مظهر الويس وعبد الرحيم عطون وميسر الجبوري (أبو ماريا القحطاني). يظهر شرعيو الهيئة، بعد كل حدث سياسي أو عسكري، لتحديد رؤية الهيئة وموقفها، مستخدمين أساليب ومفردات مستمدة من الخطاب الإسلامي تضيي هالة دينية وامتداداً أيديولوجياً على خطاب الحشد والإقناع. مثلاً، يبدو ذلك الأسلوب جلياً في تعليق القحطاني على نشر الهيئة قواتها في محيط عفرين في تشرين الأول/ أكتوبر من العام الماضي، حيث قال: «لعل هذه الأحداث ستكون بداية لمرحلة جديدة وفجر جديد؛ يعيش فيها الناس في مآمن على دينهم وأنفسهم وأهلهم وأموالهم»⁽³⁴⁾. ويتابع القحطاني توجيه الرسائل المبطنة بلغة دينية، ويقول: «هنا ستكون بداية نهاية الفساد والظلم، قد مانع رؤوس الفساد وأهل الأهواء بجميع أشكالهم وتوجهاتهم أي تقارب واندماج؛ لكن سنن الله تعالى لن تحابي أحداً، ومضت سنة الله في استبدال من تأخر عن واجب من الواجبات، فما بالك بمن عارض الاعتصام لمصالح شخصية وأهواء نفسية! والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»⁽³⁵⁾.

جغرافياً، انحسرت في تلك الفترة السيطرة المكانية لجبهة فتح الشام، واقتصر وجودها على محافظة إدلب وبعض قرى ريف حلب، الأمر الذي سهّل على أعدائها المحليين والخارجيين الكثيرين عزلها واستهداف رؤوسها. وهو ما سرّع توجهها نحو اعتماد استراتيجية «التعاون المشروط» مع الفصائل والتشكيلات الأخرى، وهي الاستراتيجية التي قادت إلى تأسيس هيئة تحرير الشام مطلع عام 2017، ونجحت في إبقاء الجولاني ورجاله في المشهد السياسي والعسكري، لكن بعد أن ارتدوا حلّة جديدة⁽³¹⁾.



منذ تأسيسها، تحولت الهيئة تدريجياً نحو استراتيجية الاشتباك بالشأن المحلي، والتحول تدريجياً لتبني خطاب رموز الثورة السورية⁽³²⁾. استلزم ذلك التحول الاستراتيجي تغيير السردية التي تبناها الهيئة، وهو ما ثبت أنه ليس بالأمر

<https://2u.pw/X9bK7xj>

(31) المهدي الزيدوي، «من الألغام إلى إنستغرام.. هل تغير مشروع هيئة تحرير الشام؟»، الجزيرة، ميدان، 2023/04/28، شوهده 2023/05/26.

في: <https://2u.pw/velClj>

(32) Rahaf Aldoughli, Azzam Al Kassir. Empower Syrians Not Warlords: Against the re-branding of Hayat Tahrir al-Sham, The Atlantic Council, 15/07/2021. Available at: <https://2u.pw/PY2t93n>

(33) «الظواهري يهاجم الجولاني: لم نقبل بفك الارتباط»، المدن، 2017/11/29، شوهده في 2023/05/06. في: <https://bit.ly/354MaVu>

(34) قناة ميسرين علي، تلغرام، 2022/10/13. شوهده في 2023/03/10. متوفر على: <https://t.me/moyeser/163>

(35) المرجع السابق.

4. الهيئة هي الطرف المعارض صاحب الرؤية السياسية الأكثر نضجًا وواقعية.

5. الهيئة هي الطرف الأقل فسادًا والأكثر التزامًا بالشرعية الإسلامية والأكثر حرصًا على «المشروع السني».

مثلاً، تبدو معظم تلك الثيمات والعناصر الخطابية حاضرة في الكلمة التي استهل بها الجولاني ظهوره الإعلامي هذا العام، حين أشار إلى أن المشروع الثوري في إدلب هو حدث استثنائي، لأنه يملك قوة عسكرية وشعبية موحدة، محذراً أنه «إن حصل عليه خطر لا سمح الله، فإنه لن يتكرر إلا بعد خمسين سنة... ومصير أهل سورية مرتبط بقرارات تؤخذ في هذه المنطقة... حتى من يعيش في مناطق النظام، ومن شُرد، ومن هاجر إلى أوروبا والدول المجاورة ومن يعيش في المخيمات... وفي حال خسرت الثورة، هناك مصيبة ستحدث على أهل السنة، سواء في سورية أو في المحيط الإقليمي. سيتحول أهل السنة إلى أقلية مضطهدة... فأهل السنة في سورية يتعرضون لعمليات إبادة وتهجير وهدم قراهم وعمليات تشييع»⁽³⁶⁾. فالثورة، تبعاً للجولاني، «على مفترق طرق. فإما أن يصطف الناس معنا، ويكون خيارهم تحرير المنطقة والدفاع عنها وبناء مؤسساتها، أو يكون الخيار الآخر: أن يذهب ويسلم سلاحه بيده للنظام، ويسلم نفسه للإعدام»⁽³⁷⁾. وهو ما كان القحطاني قد ذكره قبل أيام فقط، حين قال: «هنا في غربال الشمال لا يقبل الحياذ ولا تقبل الرمادية، فإما في صف الخيانة وإما في صف الحرية والكرامة والجهاد، ونعيد ثورتنا لسيرتها الأولى»⁽³⁸⁾.

لتعميم الخطاب محلياً، توظف الهيئة جهازاً دعائياً يعتمد بشكل كبير على شبكة من القنوات

أسلوب الدمج الخطابي بين المفردات الإسلامية ومصطلحات الثورة المناهضة لنظام الأسد يهدف إلى صياغة دعاية للاستهلاك المحلي، وخلق قاعدة دعم شعبي من بين صفوف السكان المحليين، وتلك بحد ذاتها استراتيجية معروفة في أدبيات الحركات الاجتماعية (Benford and Snow 2000). فاختيار خطاب الشرعنة والحشد والتعبئة لا يتم اعتباطياً، وإنما بطريقة موجهة تستدعي لأذهان الجمهور المستهدف مصطلحات ورموزاً وقضايا تتردد باستمرار في بيئتهم المحيطة وذات صلة بواقعهم. من هنا، يمكن إذاً تفهم الاتجاه خطابياً نحو الثورة السورية، مع الحفاظ على قشرة إسلامية، والتعامل مع القضايا والمشاكل المحلية والابتعاد عن الجهاد المعولم وإبعاد المقاتلين الأجانب عن مواقع القرار.

يسعى قادة الهيئة، عبر خطابهم ونهجهم البراغماتي الحالي، لإيصال فكرة لمؤيديهم ومناهضهم معاً بأن الهيئة، بمؤسساتها العسكرية والمدنية، هي أفضل الخيارات المتاحة والوحيدة القادرة عملياً على ضبط الوضع المحلي وتسيير شؤون السكان، إضافة لكونها مرنة ولديها قراءة واقعية للوضع السياسي وممكناته. في هذا السياق، ومن تحليل خطابات الجولاني وعطون والقحطاني والويس، أمكننا تمييز ثيمات رئيسية متكررة يعتمد عليها خطاب «الشرعنة» والإقناع المحلي وهي:

1. الهيئة تحمي السكان المحليين من هجوم وانتقام النظام.
2. الهيئة ضحت بالأموال والأنفس لتحرير المنطقة من سيطرة النظام وإقامة مشروع ثوري متكامل.
3. الهيئة اليوم هي الطرف المعارض الوحيد القادر على ضبط الأمن وتأمين احتياجات السكان.

(36) وكالة أمجاد الإعلامية، «لقاء القائد «أبو محمد الجولاني» مع وجهاء المهجرين للحديث عن خطورة التقارب مع النظام المجرم»، فيديو، 2023/01/11، شوهدي في: 2023/05/31. في: <https://amjaad.video/watch/shoEEqFDypZePLF>

(37) وكالة أمجاد الإعلامية، «لقاء القائد «أبو محمد الجولاني» مع وجهاء المهجرين».

(38) قناة ميسرين علي، تلغرام، 2022/12/29، شوهدي في: 2023/03/20. في: <https://t.me/moyeser/500>

وسرعة في حشد وتوظيف إعلام الهيئة الرديف. فالزلازل الذي تسبب بخسائر بشرية ومادية كبيرة في مناطق سيطرة الهيئة، كان فرصة استغلها قادة الهيئة دعائيًا لتكثيف رسائلهم المحلية. فقد تعاملت الهيئة مع الساعات والأيام القليلة الأولى بعيد الزلازل لتأكيد شرعية وجودها، استنادًا إلى قدرتها على تقديم نموذج حوكمة فعال، يستجيب لاحتياجات السكان من جهة، وأكثر شفافية وتنظيمًا من نماذج الحوكمة في مناطق النظام وفصائل «الجيش الوطني» من جهة ثانية؛ فكان التعاطي الإعلامي مع كارثة الزلازل استمرارًا لمسعى الهيئة لاستغلال أي مناسبة لتأكيد شعبيتها وقربها من الناس⁽³⁹⁾. وهو ما أكدته مسارعة الجولاني والقحطاني للظهور قرب المباني المهدمة في جنديرس بعد عدة أيام من الزلازل، بالرغم من أن المنطقة تعتبر رسميًا خارج سلطة الهيئة⁽⁴⁰⁾. علّق واحد ممن قابلناهم على سلوك الهيئة بقوله: «ذهبت [الهيئة] لجنديرس ودير بلوط وغيرها من المناطق، حتى تقدم نموذجًا وتثبت للسكان أن إدارتها جيدة وحتى تكسب ولاء الناس، مستغلة بطش الفصائل الأخرى هناك». توظيف الهيئة لمناخ الكارثة الإنسانية لتمرير رسائلها وتلميع صورة قادتها دّل مرة أخرى على سرعة الهيئة في التقاط الفرص واستغلالها، وتلك إحدى استراتيجيات الهيئة الثابتة.

والمراسلين النشطين على وسائل التواصل الاجتماعي، يتلقفون تصريحات قادة الهيئة ويعيدون تدويرها مع الإضاءة على «الأمن والاستقرار» و«نضج الرؤية» و«تلبية الاحتياجات» و«نجاح النموذج». أظهرت المقابلات التي أجريناها أن لإعلامي الهيئة وناشطها دورًا مهمًا وأن لديهم ظهورًا على مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، ولكنهم يستخدمون بشكل رئيسي منصتي تويتر وتلغرام. كما أظهر البحث أن للهيئة قنوات غير رسمية أخذت بالازدياد، منها مثلاً منصة (المبدعون السوريون – Creative Syrians) التي تنشط على فيسبوك وتويتر وغيرها مما بات يُعرف بالإعلام البديل. وتحتل «مؤسسة أمجاد الإعلامية» الصدارة بين قنوات الهيئة، وتنتج مواد مصورة بإخراج عالي الجودة نسبيًا. في المقابل، استمرت «وكالة إباء الإخبارية» التابعة للهيئة بالنشاط وإصدار النشرة الأسبوعية المطبوعة حتى مطلع العام الماضي، حيث بدا أن الاستراتيجية الإعلامية الجديدة للهيئة انتقلت للاعتماد على مؤسسة كريبتيف إنسبشن Creative Inception التي تحتكر اليوم تمويل وتدريب الإعلاميين المحليين وتنظيم العمل الدعائي ومعايره ومحتواه.

لا شك في أن خطاب الحشد والإقناع الذي يتبناه الجولاني ومساعدوه مصاغٌ بعناية، بحيث يتصدى لمواضيع تلقى صدى محليًا، وأن هناك آلة إعلامية دعائية قوية تسعى لتسويق نشاطات الهيئة، وإظهار تقسيم العمل وتوزيع الاختصاصات والصلاحيات بين المؤسسات المدنية والعسكرية الملحقة بالهيئة، بما يوحي بأنها تقود ما يقترب من مشروع دولة. بدا ذلك واضحًا من التغطية الإعلامية والرسائل الدعائية المكثفة التي بثتها قنوات الهيئة وشبكة مراسليها، عقب الزلازل الذي حصل في 6 شباط/فبراير 2023، ما أظهر مرونة في الأداء الدعائي

(39) عزام القصير، «هيئة تحرير الشام وارتدادات الزلازل»، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2023/02/20. في: <https://2u.pw/JZ5p4j>

(40) حسن إبراهيم، «مستغلة ظروف الزلازل.. تحرير الشام تعيد الطريق نحو شمالي حلب»، عنب بلدي، 2023/02/26، شوهد في

في: <https://www.enabbaladi.net/archives/630820> 2023/04/27

ثانيًا: استراتيجية الإقناع الخارجي

سعت الهيئة في السنوات الثلاث الأخيرة لتأمين قبول إقليمي ودولي بسلطة الأمر الواقع التي تفرضها في شمال غربي سورية. في هذا السياق، أرسل قادة الهيئة رسائل متكررة موجهة للأطراف الخارجية، تدور حول إنكار صفة «التنظيم الإرهابي»، والتأكيد على محلية التنظيم وانخراطه في السياق السوري وابتعاده عن المنظمات الإرهابية المعولة، ورفضه لتنفيذ عمليات خارجية أو استهداف المصالح الغربية⁽⁴¹⁾. نفي تهمة الإرهاب يعكس مسعى الهيئة لتجنب الاستهداف، ورغبتها في تأمين اعتراف بحضورها ودورها المحلي، ما يعني ضرورة إشراكها في أي تسويات سياسية مستقبلية.

من الناحية السياسية والدبلوماسية، كرر الجولاني في عدة مناسبات رغبة الهيئة في تفعيل التواصل مع الأطراف الخارجية، ملمحًا إلى إمكانية تأسيس وزارة خارجية لذلك الغرض. فثناء مشاركته في جلسة مجلس الشورى العام، ذكر الجولاني أن هناك نقاشًا داخليًا جاريًا لتشكيل وزارة خارجية ضمن إطار حكومة الإنقاذ، لتستلم مهام إدارة الشؤون السياسية، وتكون الجهة المخولة بالتواصل مع الدول والجهات الخارجية. جاء ذلك الحديث في سياق نقد الجولاني لمؤسسة الائتلاف الوطني الذي وصفه بأنه «جسم غير قادر على تمثيل الثورة السورية بشكله الحالي، لأنه يتبع لجهات خارجية كثيرة»، مشيرًا إلى أن أعضاء الائتلاف ليس لهم تأثير في الداخل، وأنهم تحولوا إلى ممثلين لمصالح الدول، وأن دورهم الفعلي يقتصر على إصدار بيانات⁽⁴²⁾. الغاية من ذلك النقد، والمقارنات المبطنية كانت لإظهار نضج الرؤية السياسية للهيئة وتمتعها

بشرعية مستمدة من وجودها في الداخل وقدرتها على التأثير وتغيير مسار الأحداث على أرض الواقع، وهو ما أوضحه الجولاني عندما قال إن «الأطراف الخارجية تريد أن تتعامل أو تنشئ علاقات مع من لديه قدم ثقيلة، إذا قال نعم فنعمه نافذة، وإن قال لا فلاؤه نافذة»⁽⁴³⁾. فمسعى الهيئة للاستفادة سياسيًا ودعائيًا من سلطة الأمر الواقع التي تفرضها في مناطق شمال غرب سورية هو واحد من أكثر المكونات تجليًا في خطابها الحالي. فيمكن القول بشيء من الثقة إن خطاب الهيئة تجاوز مرحلة التعبئة الأيديولوجية، وأن الأولوية اليوم هي تسويق مشروع الحوكمة الذي خططت له ونفذته الهيئة في مناطق سيطرتها، واستثماره سياسيًا.

عمومًا، تكشف متابعة خطابات قادة الهيئة في السنوات الثلاث الماضية أن بروباغندا الهيئة ورسائلها الخارجية اتجهت بالتحديد نحو تركيا والدول الغربية، في تحول خطابي واضح تضمن تلطيف اللهجة وتبني الدبلوماسية ولغة السياسة الواقعية والمصالح لإيصال رسالتين: أولاً، نفي صفة الإرهاب؛ وثانيًا، تأكيد رغبة الهيئة في أن تصبح شريكًا محليًا معترفًا بنفوذه.

سعت الهيئة في الأشهر القليلة الماضية لتأكيد رغبتها في التعاون مع تركيا، بما يتجاوز التنسيق ليصل إلى حد الشراكة. وحينما ظهرت بوادر انتقال تركيا نحو السير في مسار التطبيع والتنسيق مع النظام السوري بداية العام الحالي، انتهجت الهيئة سياسة حذرة تجنب فيها التصعيد المباشر، واكتفت بدعم حملة «لن نصالح» على وسائل التواصل الاجتماعي، حتى استقر خطاب الهيئة الرسمي أخيرًا على التركيز على تفهم دوافع السياسة

(41) Wassim Nasr. Reporter's notebook: Idlib, the last Islamist rebel bastion in Syria, France 24, 11/05/2023, seen 12/05/2023. Available at: <https://2u.pw/zpy87DJ>

(42) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «لقاء القائد «أبو محمد الجولاني» مع وجهاء المهجرين».

(43) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «مشاركة القائد أبو محمد الجولاني في الجلسة العاشرة لمجلس الشورى العام»، فيديو، 2022/02/11، شوهد في: 2023/04/27. في: <https://amjaad.video/watch/POMGj8LXRpjtx4U>

بجد لإظهار أهلية الهيئة لتكون شريكاً محلياً خلافاً لغيرها من الفصائل المسلحة. ومن جملة الوعود التي قدمها قادة الهيئة استعدادهم للتحويل إلى رأس حربة في الحرب على الإرهاب والقضاء على تنظيمات «الدولة الإسلامية» و«القاعدة» وغيرهم. ومما نقله صحفي فرانس 24، وسيم نصر، أن القحطاني عبّر له عن تلك الرغبة، بقوله «نحن نمنع شبابنا من الالتحاق بالدولة الإسلامية والقاعدة، ليس بالقوة فحسب، بل بإقناعهم وتعريفهم بأن لدينا نظاماً قابلاً للحياة»⁽⁴⁷⁾. وأضاف شرعي الهيئة المعروف: «لا نرغب بمحاربة الغرب، بل نريد محاربة من يريدون استهداف الغرب انطلاقاً من مناطقنا؛ فساعدونا!»⁽⁴⁸⁾. مع تنامي مثل هذه التصريحات، تأمل الهيئة أن يؤدي خطب ود الحكومات الغربية إلى تجنب عناصر وقادة الهيئة خطر الاستهداف العسكري، وهو حاصل عملياً؛ حيث لم يتعرض قادة الهيئة للاستهداف من قبل أطراف دولية خلال السنوات الثلاث الأخيرة، رغم استمرار التصنيف القانوني من قبل الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأميركية وتركيا وغيرهم. كما تخفي مناشدات الهيئة للأطراف الدولية لفتح صفحة جديدة رغبةً في تركيز جهدها على تمكين سلطة الأمر الواقع والتفرغ لتصفية منافسيها في الجبهة المحلية، تمهيداً لفرض نفسها لاعباً رئيساً وطرفاً في أي ترتيبات سياسية وعسكرية وإدارية مستقبلية قد تضمن لها البقاء. أيضاً، فتح صفحة جديدة في العلاقة مع الخارج يعني تسهيل تعاون الهيئة مع المنظمات الدولية والإنسانية، وازدياد تدفق المساعدات بإشراف حكومة الإنقاذ، وبالتحديد عن طريق وزارة التنمية والشؤون الإنسانية، وهو ما ستكون له ترجمات

الخارجية التركية، واعتبارات التنافس الحزبي قبيل الانتخابات البرلمانية والرئاسية التركية. ومما قاله الجولاني معلقاً على احتمالات التقارب التركي مع النظام أنه «من بعد التدخل الروسي إلى هذا اليوم، كثير من الدول التي كانت داعمة للثورة تغير توجهها، وخرجت من المشهد السوري بشكل كامل، وأعني بالأخص أغلب دول الخليج ... بل حتى تركيا تغيرت الاستراتيجية لديها. كانت قائمة على دعم الثورة حتى إسقاط النظام، فتحوّلت إلى محاولة تلافي المخاطر الناجمة عن خسارة الثورة»⁽⁴⁴⁾. وفي ذلك السياق، أشار الجولاني إلى أنه «يجب أن نرفض هذه المسارات، لكن لا يجب أن نؤزّم العلاقة بين الثورة وتركيا حتى تصل مرحلة الخصام والعداوة؛ يجب أن نكون متوازنين في مساراتنا»⁽⁴⁵⁾. وضمن مناخ ما قبل الانتخابات التركية، عبّر شرعي الهيئة مظهر الويس عن موقف واضح، حين كتب: «الأنظار اليوم تتجه إلى تركيا في انتخاباتها المفصلية حامية الوطيس، قلوب المؤمنين في أنحاء الأرض تهفو لفوز حزب العدالة والتنمية بقيادة الرئيس أردوغان؛ ليس فقط لإنجازاته، ولكن لطبيعة الخصم اللدود الذي لا ينتمي للأمة وتطلعاتها»⁽⁴⁶⁾. بشكل عام، يمكن القول إن فحوى الرسائل الضمنية التي صدرت عن الهيئة هي أنها الطرف المحلي القادر عملياً على تحقيق مصالح تركيا، وضبط الشمال السوري ومنع حدوث موجات هجرة كبيرة، خلافاً لحلفاء تركيا الحاليين المنضوين تحت لواء «الجيش الوطني».

ومن الجوانب التي باتت جلية في خطاب الهيئة المخصص للخارج، الإصرار على نفي تهمة الإرهاب والرغبة في التملص من «قيود التصنيف»، والعمل

(44) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «معايدة قيادة المحرر للوجهاء والكوادر»، فيديو، 2023/04/27، شوهدي في 2023/05/02. في: <https://amjaad.video/watch/2clqk8koydsM17T>

(45) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «لقاء القائد «أبو محمد الجولاني» مع وجهاء المهجرين».

(46) مظهر الويس، تويتر، 2023/04/14. شوهدي في: 2023/05/07. في: <https://2u.pw/eOXX7Mm>

(47) Paul Cruickshank. Journey to Idlib: An Interview with Wassim Nasr, Journalist, France24, CTC Sentinel, Vol. 16(5), May 2023. Available at: <https://2u.pw/BAvPExc>

(48) المرجع السابق.

واستضافت هيئة تحرير الشام صحفي قناة فرانس 24 وسيم نصر، في الفترة بين 29 نيسان/ أبريل و2 أيار/ مايو 2023، وسمحت له بالتجول في بعض مناطق سيطرتها وبالتقاط بعض الصور والتحدث لعدد من مسؤوليها، ومنهم الجولاني والقحطاني، حسب ما نقله نصر⁽⁵¹⁾. ولاحظ نصر غياب المظاهر العسكرية والانتشار الواسع لعلم الثورة السورية في المناطق التي دخلها، ومنها إدلب وسمردا والدانا وحارم وجسر الشغور. من اللوحات التي نقلها الصحفي الفرنسي أن مرافقيه أبلغوه استغرابهم من انتشار الجيش والمظاهر المسلحة في شوارع المدن الغربية، لأن ذلك يُخيف المدنيين، في حين أنهم في هيئة تحرير الشام يسعون لطمأنه السكان فيرسلون المسلحين للجبهات⁽⁵²⁾. ولم يُخف نصر انهياره بالجولاني، واصفاً إياه بالذكاء والمباشرة، وأنه يرتدي الجينز وقميصاً ماركة هوغو بوس، وسروره بكونه أول صحفي يلتقي أبو ماريا القحطاني، الرجل الطويل والضحيم والعارف بالأمور، على حد تعبير نصر. إضافةً لذلك، زار نصر بلدة اليعقوبية للتعرف على واقع السكان المسيحيين هناك، وعبر لاحقاً عن دهشته من مشاهدة عمال مسلمين يرممون كنيسة البلدة، تصادف وجودهم هناك مع زيارته⁽⁵³⁾.

عملية على ميزان القوى المحلية، بمعنى أن ذلك سيزيد نفوذ مؤسسات وممثلي الهيئة، وربما سيدر عليها موارد مالية هي بأمس الحاجة لها لتمويل نشاطاتها وتضمن بقاءها.

ذلك ما يسعى قادة الهيئة لتحقيقه من خلال خطاب الإقناع الخارجي، أما من ناحية الأدوات، فيبدو أن الهيئة نجحت حتى الآن في توظيف رغبة الصحفيين الأجانب بالحصول على سبق صحفي لتمرير رسائل للخارج ولإيصال صورة مُصاغة بعناية عن الأوضاع في مناطق سيطرة الهيئة وعن تحولاتها. مثلاً، أجرى مارتن سميث، من وكالة فرونتلاين للصحافة الاستقصائية، مقابلة مطولة مع أبو محمد الجولاني بداية شباط/ فبراير 2021، تركزت حول «إيضاح حقيقة الثورة السورية»، ونظرة الهيئة للغرب ومسألة إدراج الهيئة في قوائم الإرهاب⁽⁴⁹⁾. تخلل المقابلة دعوة الجولاني الدول الغربية لمراجعة تصنيفها الهيئة كمجموعة إرهابية، وتأكيد أن الهيئة طوّت صفحة القاعدة، وأن على الولايات المتحدة والدول الأوروبية تفهّم الظروف الموضوعية التي قادت البعض للتطرف. اختار الجولاني هذه المناسبة للحديث بانفتاح عن ماضيه الشخصي، وللظهور بمظهر المواطن السوري «العادي» المنتمي للطبقة الوسطى، الذي قادت ظروفه وسياقات سياسية كبرى للسير في طريق الثورة المسلحة والانتفاض بوجه الدكتاتورية والدفاع عن المظلومين. كما حاول التنصل من إرث النصرة الإرهابي، وادعاء تمايزه المبكر عن داعمه وممول مشروع الأساس أبو بكر البغدادي؛ مستغلاً المناسبة أيضاً لنكران استهداف أو اختطاف أي مدني خلال أي من مراحل نشاطه الجهادي⁽⁵⁰⁾.

(49) The Jihadist: Abu Mohammad al-Jolani, Text Interview, PBS, Feb 2021, seen 05/03/2023. Available at: <https://2u.pw/94UHyd6>

(50) المرجع السابق.

(51) Paul Cruickshank. Journey to Idlib: An Interview with Wassim Nasr, Journalist, France24.

(52) المرجع السابق.

(53) المرجع السابق.



مركز حرمون | Harmoon Center
للدراسات المعاصرة | For Contemporary Studies

عادةً، تتحكم الهيئة في توقيت المقابلات، وتنتقي من تسمح لهم بالدخول لمناطق سيطرتها ومقابلة مسؤوليها. في المقابل، يسعى كثير من الصحفيين والباحثين في الغرب لكسب سبق صحفي في بيئة مهنية تنافسية، وهو ما يحققونه بالفعل من خلال تلك المقابلات. فتتكرر في حملات ترويج المقابلات والتصريحات الحصرية عبارات مثل: «لأول مرة صحفي فرنسي يلتقي أبو محمد الجولاني»⁽⁵⁴⁾، و«شاهد الجولاني في أول

(54) Reporter's notebook: Idlib, the last Islamist rebel bastion in Syria, France 24, 11/05/2023, seen 12/05/2023. Available at: <https://2u.pw/zpy87DJ>

مقابلة مع صحفي أميركي»⁽⁵⁵⁾، و«زعيم مجموعة مسلحة متمردة يظهر في مقابلة نادرة»⁽⁵⁶⁾، وغيرها من العبارات التي تجذب انتباه المشاهدين في الغرب، خاصةً أن الجولاني ورفاقه يختارون التركيز في تلك اللقاءات على مواضيع العلاقة مع الغرب، وأن الهيئة ترفض أن تكون منصة لانطلاق عمليات إرهابية ضد الغرب، وأن تنظيمهم يحارب (داعش)، وهي بالفعل أبرز ما يجذب انتباه الرأي العام في الغرب. ولكن ثمن الحصول على السبق الصحفي واللقاءات الحصرية هو تسويق رواية الجولاني وتوثيق ما أُتيح لهم رؤيته وبث ما سُمح لهم ببثه، دون قسر، وإنما عن طريق التحكم في المشهد والعبارات والتوقيت. وبالفعل، أثمرت تلك الاستراتيجية في بعض الأحيان، كما في حالة التقارير التي أعدها باحثو مجموعة الأزمات الدولية ومعهد الجامعة الأوروبية، بُعيد استضافة الجولاني لهم عام 2021، ووجهوا فيها دعوات للحكومات الغربية لفتح صفحة جديدة في تعاملها مع هيئة تحرير الشام، إما لأن الأخيرة قادرة على ضبط الوضع الأمني والإنساني⁽⁵⁷⁾، أو لأنها تحولت إلى حركة إسلام سياسي من النمط العادي و«الشائع»⁽⁵⁸⁾، على حد تعبيرهم.

(55) Former Al Qaeda leader in Syria gives first U.S. interview, video, Thirteen, PBS, 02/04/2021, seen 15/02/2023. Available at: <https://2u.pw/bMOcOxg>

(56) Alex Crawford. Turkey-Syria earthquake: Rebel leader in Idlib calls for urgent international help as families devastated by quake, Sky News, 11/02/2023, seen 14/02/2023. Available at: <https://2u.pw/vPjXozd>

(57) In Syria's Idlib, Washington's Chance to Reimagine Counter-terrorism, Commentary, International Crisis Group, 03/02/2021, Seen 04/05/2023. Available at: <https://2u.pw/gk18rdj>

(58) Jerome Drevon, and Patrick Haenni. How Global Jihad Relocalises and Where it Leads. The Case of HTS, the Former AQ Franchise in Syria, 08/2021. European University Institute.

من تركيا. تضمّ هذه الجبهة عددًا من الفصائل التي كانت سابقًا تابعة اسميًا للجيش الحر، وهي الفرقة الساحلية الأولى، والفرقة الساحلية الثانية، والفرقة الأولى مشاة، والفرقة 23، وشهداء الإسلام، وجيش إدلب الحر، وجيش النخبة، وجيش النصر، والجيش الثاني، وفيلق الشام، ولواء الحرية⁽⁶⁰⁾. تنشط فصائل الجبهة الوطنية في الأطراف الشرقية والغربية لإدلب، عند نقاط التماس مع قوات النظام، وتعمل عادةً بالتنسيق مع هيئة تحرير الشام، ضمن ما يعرف بغرفة عمليات «الفتح المبين» التي تضم الهيئة والجبهة ومعهم «جيش العزة»⁽⁶¹⁾. لكن الهيئة بين الحين والآخر تمارس ضغوطًا على فصائل الجبهة لإرسال رسائل لقيادات «الجيش الوطني» ووزارة الدفاع في الحكومة المؤقتة، ولتذكير الجبهة بهيمنة الهيئة واستفادها بالإدارة الأمنية والعسكرية للمنطقة⁽⁶²⁾. حتى الآن، لم تكن فصائل الجبهة، فرادى أو مجتمعة، قادرة على تهديد سلطة رجال الجولاني، بل تستخدم وجود تلك الفصائل في ريف إدلب دعائيًا، لإظهار انفتاح الهيئة على الفصائل المحسوبة على المعارضة وحمايتها لهم. لكن هذا التحالف قد ينقلب مستقبلًا لعداء، إن حدث متغير في الجبهة الشمالية. وحينها سيكون على فصائل الجبهة الاختيار بين الانصياع التام لإرادة الجولاني والابتعاد عن التبعية للجيش الوطني، أو تسليم إدارة مناطقهم للهيئة وإخلاء مواقعهم والاتجاه شمالًا للالتحاق بفصائل «الجيش الوطني» في ريف حلب. حتى الآن، ما يقف في وجه ابتلاع الهيئة لتلك الفصائل أو طردها لهم هو ترقب تطورات الموقف التركي تجاه الوضع في «الشمال المحرر».

تضمّن اتفاق وقف إطلاق النار في إدلب ثلاثة بنود رئيسية هي: وقف إطلاق النار على طول خط التماس في منطقة خفض التصعيد بإدلب، ابتداءً من منتصف ليلة 6 آذار/ مارس 2020، وإقامة ممر آمن على طول طريق M4 الاستراتيجي الذي يصل بين حلب واللاذقية، بعمق ستة كيلومترات على كل من جانبي الطريق، وتسيير دوريات تركية-روسية مشتركة على طريق M4، من بلدة الترنبة غرب سراقب حتى بلدة عين الحور في ريف اللاذقية⁽⁵⁹⁾. وبالرغم من استمرار قوات النظام والطيران الروسي في قصف أطراف إدلب منذ ذلك الاتفاق، لم تحصل تغيرات ملحوظة في خريطة السيطرة المكانية. دفع خمول الجبهات هيئة تحرير الشام إلى التركيز على إدارة المناطق الواقعة تحت سيطرتها، ومكّنها من تنفيذ سياسات تهدف لضبط الوضع المحلي وتعاظم مواردها الاقتصادية وتوزيع الامتيازات بطريقة موجّهة تسهم في خلق فئة لها مصلحة في بقاء الهيئة واستمرار الأمر الواقع، وأتاح لها الحفاظ على قدر كبير من إمكاناتها والالتفات لترتيب صفوفها الداخلية و«إدارة المشهد العسكري»، كما سيتضح من الأمثلة التالية.

عند القول إن هيئة تحرير الشام تُحكّم السيطرة على معظم محافظة إدلب، لا يعني ذلك أنها الفصيل الوحيد في تلك المنطقة. فهناك وجود لفصائل عسكرية أخرى، ولكن علاقة الهيئة معها هي علاقة هيمنة وتوظيف. واحدة من تلك المجاميع المسلحة هي «الجبهة الوطنية للتحرير» التي أعلن عنها في أيار/ مايو 2018، وتتبع تنظيميًا للجيش الوطني المدعوم

(59) سمير العبد الله، «الاتفاق الروسي- التركي آفاقه ومعوقاته»، مركز دراسات الشرق الأوسط ORSAM، 2020/03/06، شوهد في

<https://2u.pw/XMI0oLK> في: 2023/05/20.

(60) سعيد اليوسف، «خريطة فصائل الجيش الوطني في ريف حلب والتحالفات... من يقاوم من؟»، تلفزيون سوريا، 2022/10/12، شوهد في

<https://2u.pw/RG3Ei4S> في: 2023/05/28.

(61) فائز الدغيم، «تحرير الشام تمنع تشكيل أي فصيل أو غرفة عمليات وتحصر الأعمال العسكرية بـ (الفتح المبين)»، عنب بلدي أونلاين،

2020/06/26 شوهد في: 2023/05/03 في: <https://2u.pw/CaKoucU>.

(62) جلال بكور، عدنان أحمد، «تحرير الشام تنذر الفرقة الساحلية بالانسحاب من خطوط التماس مع النظام السوري»، العربي الجديد،

2023/05/31، شوهد في: 2023/05/31 في: <https://2u.pw/YL0SqfL>.

عقد العزم على توجيه ضربة قوية لحزب التحرير، عبر اعتقال مجموعة من أبرز رموز الحزب في شمال غرب سورية⁽⁶⁴⁾، في خطوة مشابهة لما فعله سابقاً مع جماعة «أنصار الفرقان»⁽⁶⁵⁾. فقد أصدر جهاز الأمن العام التابع للهيئة فيلماً وثائقياً بعنوان «الغلو - الخنجر المسموم»، بترجمتين إنكليزية وتركية، تضمن اعترافات لمن قيل إنهم مجموعة من عناصر تنظيم «أنصار الفرقان»، ذكروا فيها أن «استهداف الأتراك» كان واحداً من أهدافهم⁽⁶⁶⁾. المشترك بين استهداف «حزب التحرير» و«أنصار الفرقان» هو معارضتهم الصريحة للتقارب والتدقيق مع تركيا، إضافةً إلى كونهما هدفين سهلين من الناحية الأمنية. إذًا، بالنظر إلى توقيت استهداف عناصر التنظيمين، سعت الهيئة من خلال تلك الحملات التي شنها جهاز الأمن العام التابع لها لتقديم دلائل عملية على رغبتها في تحصيل قبول تركي بدور الهيئة ونفوذها في المناطق المحاذية للحدود مع تركيا.

في علاقتها المعقدة مع فصائل «الجيش الوطني» بشكل عام، تعتمد الهيئة حالياً خطاب «توحيد الفصائل» مدخلاً للهيمنة. فقد باتت الدعوة لتوحيد الفصائل استراتيجية أصيلة في خطاب وسلوك الهيئة. فالتشابه بين خطاب «جبهة فتح الشام» بُعيد فك ارتباطها بالقاعدة منتصف عام⁽⁶⁷⁾ 2016، وخطاب الهيئة الحالي، يكاد يصل إلى حدود التطابق. فمنذ افتراق «فتح الشام»، وريثة النصر، عن الجهاد العالمي ومباشرةً بعد الانسحاب من حلب، اتجهت الجماعة لاستراتيجية الاشتباك بالسياق المحلي والتنسيق مع أفراد أو فصائل مقاتلة أخرى

علاقة الهيئة بعناصر «حزب التحرير» الموجودين في مناطق سيطرتها تعتبر من النماذج التي تستدعي الإضاءة عليها، لأهميتها. «حزب التحرير» هو حزب إسلامي معروف وله انتشار عالمي، يتمسك برؤية أيديولوجية متشددة تهدف لإقامة دولة الخلافة التي تحكم جميع المسلمين، لكن بوسائل دعوية وثقافية وعبر الانخراط بالعمل السياسي. ينتشر مناصرو «حزب التحرير» في بعض مناطق شمال وشمال غرب سورية، وعاد اسم الحزب للظهور في الأسابيع القليلة الماضية، بعد حملة من الاعتقالات شملت عدداً من رموز الحزب في المنطقة. لكن الاعتقالات التي نفذها أخيراً «جهاز الأمن العام» التابع للهيئة، بحق عدد من أعضاء «حزب التحرير»، لم تكن الأولى من نوعها. ففي آب/أغسطس 2020، اعتقل عناصر من الهيئة أفراداً تابعين للحزب، على خلفية اعتراضاتهم العلنية على التزام الهيئة باتفاق الهدنة الروسي-التركي الذي دخل حيز التنفيذ منتصف آذار/مارس⁽⁶³⁾ 2020. بقي أتباع حزب التحرير منذ ذلك الحين أبرز المجموعات المعارضة لهيئة الجولاني، داخل إدلب وفي ريف حلب الغربي، واستمر عناصر الحزب في تسيير تظاهرات، معظمها نسائية، في بعض القرى الواقعة في المنطقة الممتدة بين الأتارب وأطمه، وهي مركز ثقل «حزب التحرير»، وذلك احتجاجاً على المدهامات وحملات الاعتقال وللمطالبة بالإفراج عن المعتقلين. استمرت الاعتقالات واستمر التوتر قائماً بين مناصري الحزب وسلطات الهيئة حتى أيار/مايو من العام الحالي؛ حيث بدا أن الجولاني قد

(63) عبد الرحمن خضر، «هيئة تحرير الشام تعتقل منتسبين إلى حزب التحرير في إدلب»، العربي الجديد، 2020/08/29، شوهد في: <https://2u.pw/mXap6Qj> في: 2023/05/28

(64) نشر المتحدث باسم جهاز الأمن العام التابع للهيئة بياناً حدد فيه أسباب صدور إذن قضائي وشن حملة أمنية لاعتقال قيادات «حزب التحرير». راجع: ضياء العمر، تلغرام، 2023/05/14، شوهد في: 2023/05/18. في: <https://2u.pw/Bm4uGiE>

(65) عقيل حسين، «هل رفض الجهاديون اتفاق إدلب؟»، المدن، 2018/09/24، شوهد في: 2023/05/03. في: <https://2u.pw/vt0QN3d>

(66) جهاز الأمن العام، «الغلو - الخنجر المسموم: نحو مجتمع آمن»، فيديو، فيسبوك، 2022/12/20، شوهد في: 2023/05/05. في: <https://2u.pw/C005WUz>

(67) Lister, Charles. Al Qaeda Is Starting to Swallow the Syrian Opposition, Foreign Policy, 15 March 2017. Available at: <https://bit.ly/3gr3ZSo>

تشرين الأول/ أكتوبر 2022 هجوماً خاطفًا باتجاه الشمال، وتقدمت في منطقة عفرين الواقعة تحت سيطرة فصائل من «الجيش الوطني» منذ آذار/ مارس 2018. وفي أعقاب توغلها السريع، سحبت هيئة تحرير الشام معظم وحدات المدفعية من عفرين، بموجب اتفاق مع الفيلق الثالث التابع للجيش الوطني⁽⁷¹⁾. لكن الهيئة أبقت هناك على أميين تابعين لها ينشطون بالتنسيق مع حلفاء الهيئة هناك⁽⁷²⁾. وأكد بعض من قابلناهم أن حالة من الحذر والخوف لا تزال طاغية في المناطق التي دخلتها الهيئة، وصولاً لإعزاز، من جراء المظاهر العسكرية ووجود عناصر من جهاز الأمن العام التابع للهيئة. بالإضافة إلى تمدد الأجهزة الأمنية التابعة للهيئة، كان ذلك التمدد العسكري فرصة مهدت لدخول «خدمات» الهيئة لتلك المناطق، خصوصاً بعد كارثة الزلزال. على سبيل المثال، ورد في إحدى المقابلات أن «هناك نشاطاً خدمياً بُعيد توسعهم في مناطق غصن الزيتون، تضمن توزيع سلال غذائية وخبز»، وأن «تلك النشاطات لا يقوم بها عادةً مؤسسات رسمية، وإنما أفراد محسوبون على الهيئة»⁽⁷³⁾. ذلك الحضور غير الرسمي يُبقي السكان المحليين في حالة ترقب خوفاً من تجدد المواجهات في أي لحظة. بكل الأحوال، من أبرز الدروس التي تعلمتها الهيئة من ملابسات تمددها شمالاً نهاية العام الماضي وتبعات انسحابها أن تركيا لن تقسو عليها أو تسعى لإنهائها، فالهيئة لم تُعاقب على تجاوزاتها، بل حافظت عملياً على حضور أمني وخدمي هناك. وفي ذلك الاختراق

لزيادة صعوبة عزلها واستهدافها، فكان تأسيس هيئة تحرير الشام. فشعارات «نبذ الفرقة» و«وحدة الصف» و«توحيد الفصائل» تطفو للسطح، كلما رغبت جماعة الجولاني في التمدد والهيمنة وابتلاع فصائل عسكرية أخرى. بدا ذلك واضحاً في خطابات قادة الهيئة في الأسابيع القليلة الماضية، بما يؤكد مساعي التوسع، واحتمال التمدد شمالاً في مناطق «غصن الزيتون»، و«درع الفرات». من تلك الإشارات مثلاً، ما ورد على لسان الجولاني نفسه، حيث صرح بأن «هناك قاعدة لا نزال نكررها منذ بداية الثورة لليوم، أن عدونا ضعيف، ولكن يقوى علينا بتفرقنا. وكلما كانت وحدتنا قوية، وكلما اعتصمنا بحبل الله جميعاً، كلما قوينا على عدونا»⁽⁶⁸⁾. كما أشار بوضوح إلى أن «كل قوى الثورة يجب أن تتوحد، وأن تكون لها قيادة موحدة، وأن تكون لها خطة واحدة واستراتيجية واحدة، سواء في الدفاع أو في الهجوم أو حتى في بناء المؤسسات داخل المحرر»⁽⁶⁹⁾.

بالعودة مرة أخرى لاستراتيجية انتهاز الفرص، نجد أن الهيئة استغلت المواجهات البيئية التي بدأت في مناطق «درع الفرات» ثم انتقلت إلى مناطق «غصن الزيتون» في تشرين الأول/ أكتوبر من العام الماضي، بين فصائل من «الجيش الوطني»، بالتحديد الفيلق الثالث وفرقة الحمزة (أو الحمزات)، على خلفية إلقاء القبض على قتلة الناشط عبد اللطيف أبو غنوم، وهم من المنتمين للحمزات، أحد أبرز حلفاء الهيئة⁽⁷⁰⁾. وكانت النتيجة أن شنت الهيئة منتصف

(68) تلفزيون سوريا، «الجولاني: بقي القليل حتى نصل إلى حلب!»، فيديو، 2023/05/29، شوهدي في: 2023/05/30. في: <https://2u.pw/>

loTZRey

(69) وكالة أمجاد الإعلامية، «لقاء القائد أبو محمد الجولاني مع وجهاء المهجرين».

(70) «بعد الزلزال: تنظيم "هيئة تحرير الشام" يعزز تواجد في عفرين»، سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، 2023/04/03، شوهدي في

<https://2u.pw/gMilZ2f> في: 2023/04/26

(71) «هجوم "تحرير الشام" على عفرين مهدد لمرحلة قادمة.. الواقع الحالي وحسابات الأطراف»، تلفزيون سوريا، 2022/10/30، شوهدي في

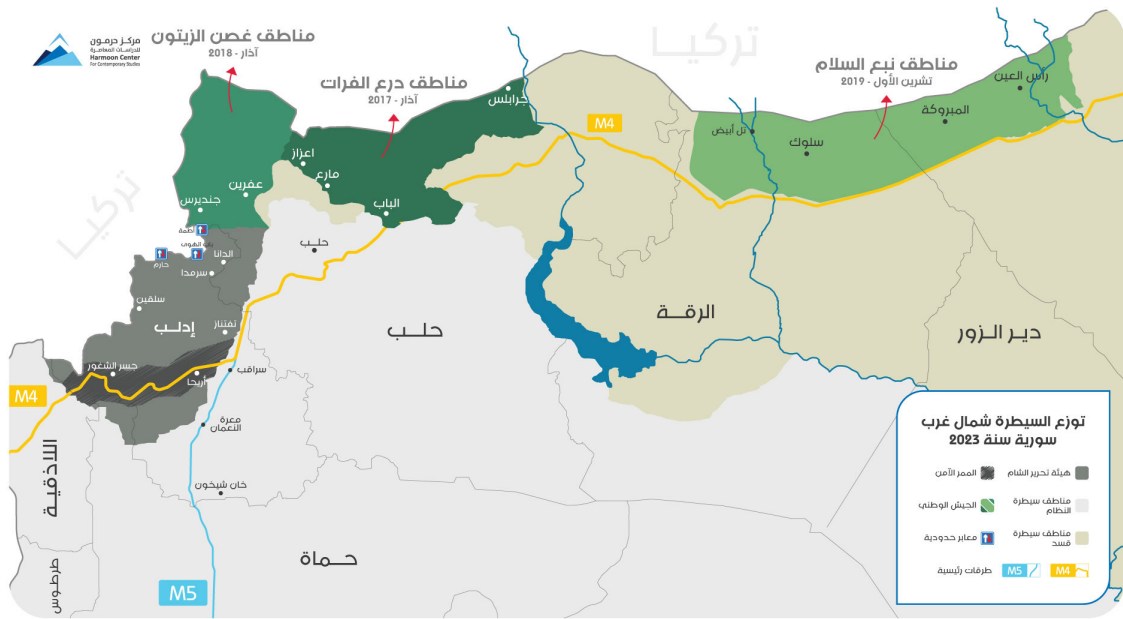
<https://2u.pw/R9ydcZ> في: 2023/05/08

(72) Azzam Al Kassir. HTS in Afrin: Threats and prospects for civil society, The New Arab, 11/11/2022. Available at: <https://2u.pw/mL9Y60Q>

(73) مقابلة مع ناشط يقيم في إحدى بلدات الشمال التي دخلها عناصر هيئة تحرير الشام خريف العام الماضي، أجريت معه عبر (واتساب) بتاريخ 2023/05/31.

من تلك المؤشرات وغيرها، يبدو أن استراتيجية الهيئة في الفترة القادمة هي الاتجاه شمالاً، ليس لدخول حلب كما ادعى الجولاني أخيراً⁽⁷⁵⁾، وإنما للسيطرة على مناطق عفرين وإعزاز وشمال حلب عمومًا، إما عسكريًا بشكل مباشر أو بتقوية حلفائها المنشقين عن «الجيش الوطني» والمنضوين تحت لواء التجمع العسكري الأمني المسمى «تجمع الشهباء»، الذي بات عمليًا ذراع الهيئة المسك بـ «غصن الزيتون». كما تسعى الهيئة، بالتزامن مع ذلك، لمد أذرعها الإدارية لتلك المناطق، مستغلة الفوضى وشيوع مناخ عدم الاستقرار، الذي تفاقم في أعقاب كارثة الزلزال، ومع تزايد الشكاوى من قبل السكان الأكراد⁽⁷⁶⁾ القاطنين في مناطق جنديرس وعفرين، من جراء ممارسات بعض المحسوبين على فصائل «الجيش الوطني».

ورقة استراتيجية لن يتردد الجولاني قبل استخدامها مستقبلاً لتعظيم قوته وتوسيع نفوذه. كما استمر تنسيق الهيئة مع وكلائها في الشمال، لابل ازداد مع تجمع حلفائها وتأسيسهم «تجمع الشهباء» الذي أسس بداية شباط الماضي، وضم حركة أحرار الشام- القاطع الشرقي، وأحرار التوحيد (الفرقة 50)، وحركة نور الدين الزنكي، وانضم إليه أيضًا لواء صقور إعزاز، الذي أعلن بوضوح عدم تبعيته للجيش الوطني والحكومة المؤقتة⁽⁷⁴⁾. يُضاف إلى ذلك أن «الجيش الوطني» منقسم على ذاته، وفصائله مستعدة لقتال بعضهم بعضًا، وأن للهيئة دورًا أساسيًا في إدارة العلاقات البينية ضمن معسكر «الجيش الوطني». وبات واضحًا أن مناخ الفوضى الأمنية السائد في مناطق «غصن الزيتون» و«درع الفرات» سيبقى بوابة مُسرّعة لتدخل منها الهيئة وتتمدد وتلعب دور بيضة القبان، عسكريًا وأمنيًا.



(74) «تجمع الشهباء.. اندماج 3 فصائل متحالفة مع هيئة تحرير الشامي حلب»، تلفزيون سوريا، 2023/02/03، شوهد في <https://2u.pw/bNl2eSS> في 2023/05/06

(75) تلفزيون سوريا، «الجولاني: بقي القليل حتى نصل إلى حلب!»، فيديو، فيسبوك، 2023/05/28، شوهد في 2023/05/28. في: <https://2u.pw/loTZRey>

(76) علاء الدين أيوب، «الجولاني والأطماع التوسعية شمالي حلب»، تلفزيون سوريا، ٢٠٢٣/٠٤/٢٨، شوهد في ٢٠٢٣/٠٥/٢٤. في: <https://2u.pw/tCEvImp>

خاتمة

والتعليم والأمن والعسكرة هي مؤسسات مستهلكة»⁽⁷⁸⁾. ويذكر زعيم الهيئة أن مؤسساته تجري إعادة نظر على موارد المحرر وقررت أخيراً الاقتطاع من ميزانيات بعض القطاعات وتخصيصها لتعويض العجز الحاصل في قطاعات أخرى مهمة كالتعليم. وبالتالي لا يملك قادة الهيئة كثيراً من الخيارات، سوى البحث عن مصادر جديدة لتعظيم مواردهم، خاصة أن محاولات تحصيل قبول خارجي لا تزال تصطدم بجدار «التصنيف على لوائح الإرهاب». والوصول إلى مصادر جديدة يعني عملياً أن احتمال تمددها شمالاً على حساب شتات «الجيش الوطني» سيبقى قائماً.

في هذا الخصوص، من أهم الدروس التي يمكن استخلاصها من تحليل تجربة هيئة تحرير الشام أن «الشرعة» الخطابية الأيديولوجية غير كافية على المدى الطويل، فمع تراجع وتيرة المعارك والمواجهات العسكرية ومع تقدم الزمن، تُستنفذ القدرة على الحشد الأيديولوجي والهوياتي، وهو ما يدفع غالباً للبحث عن مصادر «شرعة» إضافية مرتبطة بالسياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي المحيط والتصدي للاحتياجات والمطالب المحلية الناشئة، وهي في معظمها متعلقة بتوفير الخدمات والسلع الرئيسية، بالإضافة إلى استتباب الأمن والاستقرار. تلبية تلك المستلزمات الموضوعية تُوجّه الهيئة أخيراً وتدفعها للتركيز على «حشد الموارد» والتي تترجم بمحاولاتها للتوسع بحثاً عن زيادة مواردها وتوسيع نطاق عمل مؤسساتها الإدارية وأجهزتها الأمنية.

يبدو أن الجولاني يتصرف بعقلية لاعب

بالنسبة إلى التوجهات الاستراتيجية واستراتيجيات البقاء و«الشرعة» التي تعتمد عليها الهيئة، نشهد تدريجياً محاولات الانتقال لنموذج الدولة، ليس رغبةً وتحولاً طوعياً من الجولاني، بل هناك حاجة موضوعية لا يمكن للهيئة تجاهلها، فإن لم تفِ الهيئة بالمطالب المحلية، فلن تستطيع البقاء، وستفقد عنصر القبول المحلي. فرغم القوة النسبية التي تتمتع بها، لا تملك الهيئة ما يكفي للتأهب العسكري على جبهات المواجهة وتوظيف جهازها الأمني بشكل دائم لتنفيذ إجراءات القمع وضبط الجبهة المحلية، ما يجعل من توفر الموارد حاجةً استراتيجية ملازمة لعمليات الحشد والإقناع واكتساب الشرعية المحلية وترتيب الجبهة الداخلية وشراء الولاءات. في هذا السياق، ورد سابقاً أن الهيئة اتجهت لترويج نفسها إعلامياً، وحرصت على الظهور المتكرر لزعيمها الجولاني، محاولةً منها لكسب أكبر قدر ممكن من التعاطف والقبول الشعبي، وخشية ردود الفعل الغاضبة بعد تراجعها عسكرياً على الأرض خلال عامي 2019 و2020. كما أن خطاب الهيئة سعى بلا كلل لإظهار «حكومة الإنقاذ» كجبهة مدنية فاعلة، تقود تجربة حوكمة قابلة للتصدير. لكن الواقع أثبت أن الحفاظ على تلك الصورة الدعائية صعب للغاية، حيث ازداد الاحتقان الشعبي، وظهرت احتجاجات محلية على تردي الأوضاع في مناطق الهيئة⁽⁷⁷⁾. ربّما يفيد هنا التذكير أن قادة الهيئة أخذوا يشيرون بازدياد للضغط الاقتصادي الناشئة، كقول الجولاني: «لا يخفى عليكم أن المحرر موارده قليلة، ولكن هذا لا يمنعنا من القيام بنهضة على كل المستويات. لكن الصحة

(77) عمر إدلي، «هيئة تحرير الشام كسلطة أمر واقع»، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2021/02/07، شوهدي: 2023/05/02. في:

<https://2u.pw/vflFOJ>

(78) مؤسسة أمجاد الإعلامية، «مشاركة القائد أبو محمد الجولاني في الجلسة العاشرة لمجلس الشورى العام».

هناك سياسة تعتمد عليها الهيئة تقوم على الدمج بين المدني والعسكري في مناطقها، سعيًا لاستباق أي محاولة لعزل العسكريين المطلوب محاسبتهم على ما تورطوا به خلال مراحل سابقة، خاصة مرحلة النصر والارتباط بالقاعدة وتنفيذ أجندتها في سورية، وحتى تبقى القيادة العسكرية والشرعية ممسكةً بزمام الأمور ومشرفةً على جميع جوانب الاقتصاد والمجتمع. أخيرًا، يمكن القول إن الجولاني ورجاله يسعون لإثبات مرونة الهيئة وجدية تحولاتها وافتراقها عن خط النشاط الإرهابي المعولم، رغبةً في إظهار قدرة تنظيمهم على أن يستحيل حليفًا محليًا يحتاج إليه المجتمع الدولي لمحاربة شركاء الجولاني السابقين، إرهابيين ومتطرفين اليوم.

الشطرنج، فيسعى لتوقع الحركات المستقبلية لمناهضيه، ويتصرف على ذلك الأساس. فضمن سياق تحولاته الاستراتيجية، انتقل الجولاني لاعتماد النهج الوظيفي النفعي بدلًا من الجذرية، وخاصة ما يتعلق في تعامله الأدوات (instrumentalist)، مع المقاتلين الأجانب وبقايا الجيش الحر وغيرهم. فقرار إنهاء فصائل «الجيش الحر»، مثلًا، كان خطوةً استباقية لقطع الطريق على أي محاولة مستقبلية قد تلجأ لها الأطراف الخارجية لدعم واستخدام تلك الفصائل، في حال اتخذ قرار إنهاء الهيئة عسكريًا. أيضًا، أراد الجولاني قطع الطريق على استهداف الهيئة بوصفها كيانًا متطرفًا ذا ارتباطات خارجية، فبادر بعداء القاعدة وشنّ حملات على بقايا تنظيم الدولة، وعمل قطيعةً مع خطاب السلفية الجهادية المعولمة. كذلك، انتقل من القبول الضمني بوجود قوات تركية ضمن مناطق نفوذه، إلى الدعوة جهارًا للتقارب مع تركيا، وإرسال رسائل تعاون وحسن نية باتجاه أنقرة، عبّر عنها عمليًا بإقصاء مناهضي تركيا في مناطق سيطرته، كما فعل مع عناصر أنصار الفرقان وحزب التحرير، مثلًا، وهم أهداف رخوة وسهلة، ويمكن للهيئة استخدامهم واختيار وقت استهدافهم. أيضًا، ومن ناحية الاستراتيجية العسكرية، قرر الجولاني تحجيم حلفاء تركيا الآخرين المتجمعين تحت مظلة «الجيش الوطني»، لإبقاء الهيئة الطرف المتماسك الوحيد على جبهة المعارضة. تعتمد الهيئة في سبيل ذلك أسلوب الاستفراد ببعض الفصائل وكسب ولائهم وتغذية الخلافات البينية ضمن «الجيش الوطني»، وتسليط الضوء إعلاميًا ودعائيًا على حالة التشتت العسكري والفوضى الأمنية السائدة خارج مناطقها.

إداريًا، يسعى الجولاني ومساعدوه لتسويق نموذج الحوكمة الذي تدفع به حكومة الإنقاذ لإثبات قدرة الهيئة على الإدارة وتحقيق استقرار، إن تمكنت من التمدد، أو أتيحت لها فرصة التوسع. استراتيجيًا،

قائمة المراجع

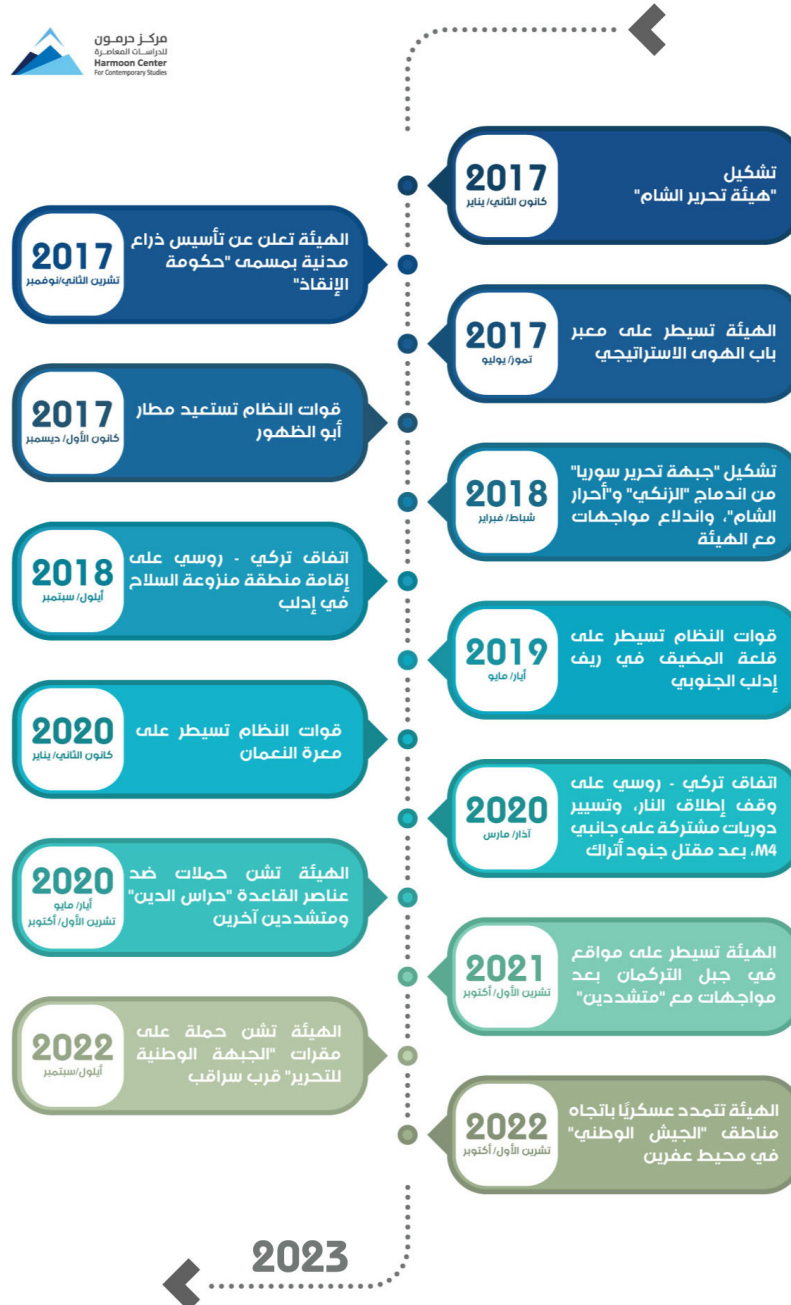
1. 2022. حكومة الإنقاذ وهيئة تحرير الشام: جدل العاقلة ومستقبلها. تقرير تحليلي، جسور للدراسات.
2. أبوشمس، مصطفى. 2019. تحولات في سلوك هيئة تحرير الشام. الجمهورية. نت.
3. العبد الله، محمد. 2023. حوكمة القطاع المالي في الشمال السوري.. الواقع والتحديات. عمران للدراسات الاستراتيجية.
4. حواصلي، كندة. 2022. الواقع الأمني في الشمال السوري، تقرير تحليلي، مركز الحوار السوري.
5. زهران، مصطفى. 2022. دويلة الجولاني: واقع «هيئة تحرير الشام» ومستقبلها في ظل صعود حركة طالبان الأفغانية. عمان: مركز استراتيجي كس.
6. Arjona, Ana, Nelson Kasfir, and Zachariah Mampilly (eds.). 2015. Rebel Governance in Civil War. Cambridge: Cambridge University Press.
7. Arjona, Ana. 2014. "Wartime institutions: A research agenda." *Journal of Conflict Resolution* 58 (8): 1360-89.
8. Benford, Robert D., and David A. Snow. 2000. "Framing Processes and Social Movements: An Overview and Assessment." *Annual Review of Sociology* 26: 611-639.
9. Drevon, Jerome, and Patrick Haenni. 2021. How Global Jihad Relocalises and Where it Leads. The Case of HTS, the Former AQ Franchise in Syria. San Domenico di Fiesole: European University Institute.
10. ICG. 2023. Containing Transnational Jihadists in Syria's North West. Report (239). Istanbul/Brussels: International Crisis Group.
11. Kasfir, Nelson. 2005. "Guerrillas and civilian participation: The National Resistance Army in Uganda, 1981–86." *The Journal of Modern African Studies* 43: 271-296.
12. Lister, Charles. 2016. Profiling Jabhat al-Nusra. Washington D.C.: Brookings Institute.
13. Mampilly, Zachariah. 2011. Rebel rulers: Insurgent governance and civilian life during war. New York: Cornell University Press.



14. McAdam, Doug, John D. McCarthy and Mayer N. Zald (eds.). 1996. Comparative perspectives on social movements: Political opportunities, mobilizing structures, and cultural framings. Cambridge: Cambridge University press.
15. Parkinson, Sarah. 2013. "Organizing rebellion: Rethinking high-risk mobilization and social networks in war." *American Political Science Review* 107: 418-32.
16. Risse, Thomas, ed. 2011. *Governance without a state: Policies and politics in areas of limited statehood*. New York: Columbia University Press.
17. Saeed, Yilmaz. 2022. *The Future of al-Jawlani's Pragmatism in Idlib and Afrin*. Washington D.C. : Washington Institute for Near East Policy.
18. Snow, David, and Scott Byrd. 2007. Ideology, Framing Processes, and Islamic Terrorist Movements. *Mobilization: An International Quarterly*; 12 (2): 119–136.
19. Tajfel, H. (1978). The achievement of inter-group differentiation. In H. Tajfel (Ed.), *Differentiation between social groups* (pp. 77–100). London: Academic Press.
20. Zelin, Aaron Y. 2022. Rhetoric Meets Reality in Jawlani's Push for Self-Sufficiency. *Policy Watch* 3616. Washington D.C.: Washington Institute for Near East Policy.
21. Zelin, Aaron Y. 2022. *The Age of Political Jihadism*. Washington D.C.: The Washington Institute for Near East Policy.

ملاحق

ملحق 1: خط زمني لأبرز التطورات العسكرية منذ تأسيس هيئة تحرير الشام بداية عام 2017



أبحاث سياسية



أبحاث اجتماعية



أبحاث اقتصادية



أبحاث قانونية



ترجمات



مركز حرمون للدراسات المعاصرة

Harmoon Center for Contemporary Studies

Harmoon Arřtırmalar Merkezi

Doha, Qatar: Tel. (+974) 44 885 996

Istanbul, Turkey: Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box: 34055
Tel. +90 (212) 542 04 05

www.harmoon.org